أحمد شوقي

مختارات شعرية

obeikandl.com

obeikandl.com

نهج البردة

ريـمٌ علـى القـاع بـين البـانِ والعلَـمِ
أحَـلَّ سـفكَ دمـي في الأشـهر الحُـرُم

رمـى القـضاءُ بعـيني جـؤذَر أسـداً
يـا سـاكنَ القـاع، أدرِكْ سـاكن الأجـم

لمـا رَنـا حـدّثتني الـنفسُ قائلـةً
يـا ويْـحَ جنبِـكَ بالـسهم المُـصيب رُمـي

جحـدتها، وكتمـت الـسهم في كبـدي
جُـرْحُ الأحبـة عنـدي غـير ذي ألم

يـا لائمـي في هـواه ــ والهـوى قـدر ــ
لـو شـفَّك الوجـدُ لم تَعـذِل ولم تلـم

لقـد أذلتْـك أُذنـاً غـير واعيـةٍ
ورُبَّ منتـصتٍ والقلـبُ في صَـمم

يـا نـاعسَ الطـرفِ، لا ذقـتَ الهـوى أبـداً

أسـهرتَ مُـضناك في حفـظ الهـوى فـنم

يـا نفـسُ، دنيـاكِ تُخفـي كـلَّ مُبكيـةٍ

وإن بـدا لـكِ منهـا حُـسنُ مُبتَـسم

هامَـت علـى أثَـرِ اللـذاتِ تطلبُهـا

والـنفس إن يَـدْعُها داعـي الـصِّبا تَهـم

صـلاحُ أمـرِك للأخـلاقِ مرجعـهُ

فقـوِّم الـنفسَ بـالأخلاق تـستقم

والـنفسُ مـن خيرِهـا في خـير عافيـةٍ

والـنفسُ مـن شـرها في مرتَـع وَخِـم

إن جَـلَّ ذنـبي عـن الغُفـران لـي أمـلٌ

في الله يجعلـني في خـير مُعتـصَم

أُلقـي رجـائي إذا عـزَّ المُجـيرُ علـى

مُفـرِّج الكـرب في الـدارين والغمَـم

إذا خفـــضتُ جنـــاحَ الـــذُّلِّ أســـأله

عِـــزَّ الـــشفاعةِ، لم أســـأل ســـوى أمَـــم

وإن تقـــــدّم ذو تقـــــوى بـــــصالحةٍ

قـــدّمت بـــين يديـــه عَبْـــرَةَ النـــدَم

لزِمـــتُ بـــاب أمـــير الأنبيـــاء، ومَـــنْ

يُمْـــسِكْ بمفتـــاح بـــاب الله يغتـــنم

محمـــدٌ صـــفوةُ البـــاري ورحمتُـــه

وبغيَـــةُ الله مـــن خَلْـــقٍ ومـــن نَـــسَم

ونـــوديَ: اقـــرأْ تعـــالى اللهُ قائلُهـــا

لم تتـــصلْ قبـــلَ مَـــنْ قيلـــتْ لـــه بفـــم

هنـــاكَ أذّن للـــرحمنِ، فـــامتلأت

أسمـــاعُ مكَّـــةَ مـــن قدســـية الـــنغم

سَـــرَتْ بـــشائِرُ بالهـــادي ومولِـــده

في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

أتيــتَ والنــاسُ فوضــى لا تمــرُّ بهــم

إلاّ علــى صَــنم، قــد هــام في صــنم

أســرى بــك الله لــيلاً، إذْ ملائكُــه

والرُّسـلُ في المسجدِ الأقصى علـى قـدَم

لمــا خطــرتَ بــه التفُّــوا بــسيّدِهم

كالــشُّهْبِ بالبــدرأو كالجُنــدِ بــالعَلم

صــلى وراءَك مــنهم كــلُّ ذي خطــرٍ

ومــن يفُــز بحبيــب اللهِ يــأْتمم

مَــشيئتهُ الخــالق البــاري وصَــنعتُهُ

وقــدرةُ الله فــوق الــشكِ والــتُّهم

حتــى بلغــتَ سمــاءً لا يُطــارُ لهــا

علــى جَنــاحٍ، ولا يُــسْعَى علــى قَــدم

وقيــل: كــلُّ نــبيٍّ عنــد رتبتِــه

ويــا محمــدُ، هــذا العــرش فاســتلم

يـــا ربِّ هبـــتْ شـــعوبٌ مـــن منيّتهـــا

واســـتيقظت أُمَـــمٌ مـــن رقْـــدة العـــدم

فـــالطُفْ لأجـــلِ رســـول العـــالمين بنـــا

ولا تـــزدْ قومَـــه خـــسفاً، ولا تُـــسم

يـــا ربِّ، أحـــسنتَ بَـــدءَ المـــسلمين بـــه

فـــتممِّ الفـــضلَ، وامـــنحْ حُـــسنَ مُخْتَـــتَم

obeikandl.com

obeikandl.com

أندلسية

"نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز، وقد اخترنا منها مقتطفات"

يـا سـاري الـبرق يرمـي عـن جوانحنـا
بعـد الهـدوء ويهمـي عـن مآقينـا
لمـا ترقـرق في دمـع الـسماء دمـا
هـاج البكـا فخـصبنا الأرض باكينـا
الليـل يـشهد لم تهتـك دياجتـه
علـى نيـامِ ولم تهتـف بـسالينا
والـنجم لم يرنـا إلا علـى قـدم
قيـام ليـل الهـوى للعهـد راعينـا
كزفـرة في سمـاء الليـل حـائرة
ممـا تـردد في حـين يـضوينا

obeikandl.com

بـــالله إن جبـــت ظلمـــاء العبـــاب علـــى

نجائـــب النـــور محـــدداً (بجرينـــا)

تـــرد عنـــك يـــداه كـــل عاديـــة

إنـــسا يعـــثن فـــساداً أو شـــياطينا

حتـــى حوتـــك سمـــاء النيـــل عاليـــة

علـــى الغيـــوث وإن كانـــت ميامينـــا

وأحرزتـــك شـــغوف الـــلازوارد علـــى

وشـــي الزبرجـــد مـــن أفـــواه وادينـــا

وحـــازك الريـــف أرجـــاء مؤرّجـــة

ريـــت خمائـــل واهتـــزت بـــساتينا

وآس مـــا بـــات يـــذوي مـــن منازلنـــا

بالحادثـــات ويـــضوي مـــن مغانينـــا

ســـقيا لعهـــد كأكنـــاف الربـــى رفـــة

أنّـــى ذهبنـــا وأعطـــاف الـــصبالينا

إذا لزمـــــان بنـــــا غبنـــــاء زاهيـــــة

تـــــرف أوقـــــا تنافيهـــــا رياحينـــــا

الوصـــــل صـــــافية والعـــــيش راغبـــــة

والـــــسعد حاشـــــية والـــــدهر ماشـــــينا

والـــشمس تختـــال في العقبـــان تحـــسبها

(بلقـــيس) ترفـــل في وشـــي اليمانينـــا

والنيـــل يقبـــل كالـــدنيا إذا احتفلـــت

لـــو كـــان فيهـــا وفـــاء للمـــصافينا

والـــسعد لـــو دام والنعمـــى لـــو اطـــردت

والـــسيل لـــو عـــف، والمقـــدار لودنيـــا

وهـــذه الأرض مـــن ســـهل ومـــن جبـــل

قبـــل القياصـــر بناهـــا فراعينـــا

ولم يـــضع حجـــراً بـــان علـــى حجـــر

في الأرض إلا علـــــى آثـــــار بانينـــــا

كـــأن أهـــرام مـــصر حـــائط نهـــضت

بـــه يـــد الـــدهر لا بنيـــان فانينـــا

إيوانـــه الفخـــم مـــن عليـــا مقاصـــره

بفـــني الملـــوك ولا يبقـــى الأواوينـــا

كأنهـــا ورمـــالا حولهـــا التطمـــت

ســـفينة غرقـــت إلا أســـاطينا

كأنهـــا تحـــت لألأة الـــضحى ذهبـــا

كنـــوز فرعـــون غطـــين الموازينـــا

يبكي والدته[1]

إلى اللّـهِ أشكو مِن عَوادي النَّوَى سهماً
أَصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أَصْمَى

من الهاتكات القلبَ أَوَّلَ وَهلةٍ
ومَا دَخَلَتْ لحماً، ولا لامستْ عظما

تَوَرَادَ والنَّاعِي، فأَوْجَسْتُ رَنَّةً
كلاماً على سمعي، وفي كبدي كَلْما

(١) نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة، على أثر إعلان الهدنة، وهو في منفاه في الأندلس سنة ١٩١٨، إذ كان يعلل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء أهله، وفي مقدمتهم والدته الحبيبة[٢] ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق، حتى وافاه البرق بنعيها، فأثر هذا المصاب الجسيم في نفسه تأثيراً بالغاً، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية، وقد قيل أنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة، حتى نشرت في الصحف غداة وفاته رحمه الله.

obeikandl.com

فمـا هتَفـا حتـى نَـزَا الجنـبُ وانـزَوَى

فيا وَيْحَ جَنْبِي! كم يَسيلُ؟ وكم يَدمَى؟

طَـوَى الـشرقَ نحـوَ الغـربِ، والمـاءَ للثَّـرَى

إلـــيَّ، ولم يَركـــبْ بِـــساطاً ولا يَمَّـــا

أَبـــانَ ولم يَنْـــبَسْ، وأَدّى ولم يَفُـــهْ

وأَدْمَـــى ومـــا داوَى، وأَوْهَـــى ومـــا رَمَّـــا

إذا طُوِيَـــتْ بالـــشُّهْبِ والـــدُّهْمِ شُـــقَّةٌ

طَـوَى الـشُّهْبَ، أَو جـاب الغُدافِيَّـةَ الـدُّهْما

ولم أرَ كالأَحـــداثِ ســـهماً إذا جـــرَتْ

ولا كالليـــالي راميـــاً يُبعِـــدُ المَرْمَـــى

ولم أَرَ حُكمـــاً كالمقـــاديرِ نافـــذاً

ولا كلقـــاءِ المـــوتِ مِـــنْ بَينهـــا حَتْمـــا

إلى حيـــثُ آبـــاءُ الفَتَـــى يَـــذهبُ الفتـــى

سَـــبيلُ يَـــدينُ العـــالَمون بهـــا قِـــدْما

وما العيشُ إلا الجسمُ في ظلِّ رُوحِهِ

ولا الموتُ إلا الرُّوحُ فارَقتِ الجسما

ولا خلْدَ حتى تملأَ الدهرَ حِكمةً

على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْما

زَجَرْتُ تَصاريفَ الزمامِ، فما يَقَعْ

ليَ اليومَ منها كان بالأمسِ ليَ وَهْما

وقدَّرتُ (للنعمانِ) يوماً وضِدُّهُ

فما اغْتَرَّتِ البُوسَى، ولا غرَّتِ النُّعمى

شرِبتُ الأَسى مصروفةً لو تعرضتْ

بأنفاسها بالفمِّ لم يستفِقْ غَمَّا

فأتْرِعْ وناوِلْ يا زمانُ؛ فإنما

نديمُكَ (سُقراطُ) الذي ابْتَدَعَ السّمَّا

قَتلتُكَ، حتى ما أُبالي: أدَرْتَ لي

بكأْسِكَ نَجْماً، أَم أدَرْتَ بها رَجْما؟!

لـــكِ اللهُ مِـــنْ مَطعونـــةٍ بقَنـــا النَّـــوى

شـــهيدةِ حـــربٍ لم تُقـــارِفْ لهـــا إنمـــا

مُدَلَّهـــةٍ أزكـــى مِـــنَ النـــارِ زَفْـــرةً

وَأنْـــزِهِ مِـــنْ دَمْـــعِ الحَيـــا عَبْـــرة سَـــحْما

ســـقاها بَـــشيري وهْـــيَ تَبكـــي صَـــبابةً

فلـــم يَقْـــوَ مَغناهـــا علـــى صَـــوْبهِ رَسْـــما

أسَـــتْ جُرحهـــا الأَنبـــاءُ غـــيرَ رَفيقـــةٍ

وكـــم نـــازِعٍ ســـهماً فكـــان هـــو الـــسَّهما!

تَغـــارُ علـــى الحُمَّـــى الفـــضائلُ والعُـــلا

لِمـــا قبَّلَـــتْ منهـــا، ومـــا ضـــمَّت الحُمَّـــى!

أكانـــت تَمنّاهـــا وتَهـــوَى لِقاءَهـــا

إذا هـــي سمَّاهـــا بـــذي الأرض مَـــنْ سَـــمى؟

أَلَمَّـــتْ عليهـــا، واتَّقـــتْ ثمراتِهـــا

فلمـــا وُقُـــوا الأَسْـــواءَ لم ترَهـــا ذمَّـــا

فيـــا حـــسرتا ألاَّ، تـــراهم أهِلَّـــةً

إذا أقْـصرَ البـدرُ التمـامُ مَـضوا قُـدما!

رَيـــاحينُ في أنـــف الـــوَليِّ، ومـــا لهـــا

عـــدوٌّ تـــراهم في مَعاطِـــسِهِ رَغْمـــا

وألاَّ يطوفـــوا خُـــشَّعاً حـــولَ نعـــشِها

ولا يُـشبعوا الـركنَ اسـتلاماً ولا لَثْمـا

حلَفْـتُ بمـا أسـلَفتِ في المهـد مِـنْ يـدٍ

وأوْليـتِ جُثمـاني مـن المِنَّـةِ العُظمـى

وقـــبرٍ مَنُـــوطٍ بـــالجلال مُقلَّـــدٍ

تلِيـدَ الخـلالِ الكُثـرَ، والطـارفَ الجَمَّـا

وبالغادِيـــاتِ الـــساقياتِ نَزيلَـــهُ

مـنَ الـصَّلواتِ الخَمْـسِ، والآيِ، والأسْـما

لَمـا كـان لـي في الحـربِ رأْيٌ ولا هَـوىً

ولا رُمْـتُ هـذا الثكـلَ للنـاس واليُتمـا

ولم يـكُ ظلـم الطـيرِ بـالرقّ لـي رِضـاً

فكيـف رضـائي أن يَـرَى البَـشَرُ الظُّلمـا؟

ولم آلُ شُـــبّانَ البريّـــةِ رِقَّـــةً

كـأَن ثمـارَ القلـب مِـنْ وَلَـدي ثَمَّـا

وكُنْـتُ علـى نَهْـجٍ مـن الـرأْي واضـحٍ

أرى النـاس صِـنْفينِ: الـذئابَ أو البَهمـا

ومـا الحُكـمُ إلا أُولِـي البـأْسِ دولـةٍ

ولا العـدلُ إلا حـائطٌ يَعْـصِمُ الحُكمـا

نزلْـتُ رُبـى الـدنيا، وجَنّـاتِ عَـدْنِها

فمـا وَجَـدَتْ نفـسي لأَنهارهـا طعمـا

أُرِيـــــحُ أرِجَ المِـــــسكِ في عَرَصـــــاتها

وإن لم أُرحْ (مَــرْوانَ) فيهــا ولا (لَخْمــا)

إذا ضَـــــحِكَتْ زهـــــواً إلى سماوهـــــا

بكيتُ النَّدى في الأرض، والبأسُ، والحزما

أطِيـــــفُ برســـــمٍ، أو أُلِـــــمُّ بدِمْنَـــــةٍ

أخــال القــصور الزُّهْــرَ والغُــرَفَ الــشُّما

فمـا برحَـتْ مـن خـاطري (مـصر) سـاعةً

ولا أنــتِ في ذي الــدارِ زايَلْــتِ لــي هَمّــا

إذا جَنَنِّـــي الليـــلُ اهْتَـــززْت إليكمـــا

فجنحـا إلى سُـعدَى، وجُنحـا إلى سَـلمى

فلمــا بــدا النــاس صُــبْحٌ مــن المُنَــى

وأَبــصرَ فيــه ذو البــصيرةِ والأعمــى

وقــرَّتْ ســيوفُ الهنــدِ، وارتكــز القَنــا

وأقْلَعــتِ البَلــوى، وأقــشَعَتِ الغُمَّــى

وحَنَّـــتْ نـــواقيسٌ، ورَنَّـــتْ مـــآذنٌ

ورَفَّــتْ وجــوهُ الأَرضِ تَــستقبلُ الــسلمى

أتــى الــدهرُ مِــنْ دونِ الهنــاءِ، ولم يَــزَلْ

وَلوعــــاً ببُنيـــانِ الرجـــاءِ إذا تَمّـــا!

إذا جـــال في الأَعيـــادِ حَـــلَّ نظامهـــا

أو العُـــرسِ أبْلـــى في معالمـــه هَـــدْما

لـــئن فـــاتَ مـــا أَمَّلتـــهِ مـــن مواكـــبٍ

فَدُونكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضَّخما!

رثيْـــتُ بـــه ذاتَ التُّقـــى ونظمتُـــه

لعنـــصره الأَزكـــى وجـــوهرِهِ الأسمـــى

نمتـــكِ مَناجيـــبُ العُـــلا ونمَيْتَهـــا

فلـــم تُلحَقـــي بنتـــاً ولم تُـــسْبَقي أُمَّـــا

وكنـــتِ إذا هـــذي الـــسماءُ تخايلـــت

تواضـــعتِ، لكـــنْ بعـــد مـــا فُتِّهـــا نَجمـــا

أتَيْـــتِ بـــه لم يـــنظم الـــشِّعرَ مثلُـــه

وجِئـــتِ لأَخـــلاق الكـــرامِ بـــه نَظمـــا

ولـــو نهـــضَتْ عنـــه الـــسماءُ، ومَخَّـــضَتْ

بـــه الأرضُ كـــان المُـــزنَ والتبْـــرَ والكَرْمـــا!

نكبة دمشق

"قيلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سورية بتياترو حديقة الأزبكية سنة ١٩٢٦"

سـلامٌ مـن صَـبا (بَـردى) أرقُّ
ودمـعٌ لا يُكَفْكَـفُ يـا دِمَـشْقُ

ومعـذِرة البراعـةِ والقـوافي
جـلالُ الـرُّزْءِ عـن وَصْـفٍ يَـدِقُّ

وذكـري عـن خواطرهـا لقلـبي
إليـك تلفُّـتٌ أبـداً وخَفْـق

وبـي ممـا رمتـكِ بـهِ الليـالي
جراحـاتٌ لهـا في القلـب عُمْـق

دخلتـكِ والأصـيلُ لـه ائـتلاقٌ
ووجهُـك ضـاحك القـسماتِ طَلْـق

obeikandl.com

وتحـــتَ جِنانِـــك الأنهـــار تجـــري

ومِـــــــلءُ رُبـــــــاك أوراقٌ ووُرْق

وحـــولي فتيـــةٌ غـــرٌ صِـــباحٌ

لهـــم في الفـــضل غايـــاتٌ وسَـــبْق

علـــى لهـــواتهم شـــعراءُ لُـــسْنٌ

وفي أعطـــافِهم خُطبـــاءُ شُـــدْق

رُواةُ قـــصائدي، فأعجـــب لـــشعرٍ

بكـــلِّ محلَّـــةٍ يَرْويـــه خَلْـــق

غمـــزتُ إبـــاءهم حتـــى تلظَّـــتْ

أنـــوف الأسْـــدِ واضـــطرَم المـــدَق

وضـــجَّ مـــن الـــشكيمةِ كـــلُّ حُـــرٍّ

أبـــي مـــن أميـــةَ فيـــه عِتـــق

لحاهـــــا اللهُ أنبـــــاءً توالـــــتْ

علـــى سَـــمْعِ الـــوليِّ بمـــا يَـــشُقّ

يُفـــــصلها إلى الـــــدنيا بَريـــــدٌ

ويُجْمِلُهـــــا إلى الآفـــــاق بَـــــرْقُ

تكـــــادُ لروعـــــةِ الأحـــــداثِ فيهـــــا

تخـــال مـــن الخُرافـــةِ وهـــي صِـــدْق

وقيـــل: معـــالمُ التـــاريخ دُكَّـــت

وقيـــل: أصـــابها تلـــفٌ وحَـــرق

أَلـــستِ دِمـــشقُ ـــ للإســـلام ظِئْـــراً

ومُرْضـــــعَةُ الأُبُـــــوةِ لا تُعَـــــقّ؟

صـــلاحُ الـــدين، تاجـــك لم يُجَمِّـــل

ولم يُوسَـــم بـــأَزين منـــه فَـــرْق

وكـــلُّ حـــضارةٍ في الأرض طالـــتْ

لهـــا مـــن سَـــرْحِكِ العُلْـــويِّ عِـــرق

سمـــاؤكَ مـــن حُلّـــي الماضـــي كتـــابٌ

وأرضُـــك مـــن حلـــي التـــاريخ رق

بنيـــتِ الدولـــةَ الكـــبرى ومُلْكـــاً

غبـــارُ حـــضاريته لا يُـــشَقّ

لـــه بالـــشام أعـــلامُ وعُـــرْسٌ

بـــشائره بأنـــدلسِ تـــدَق

ربـاعُ الخلـدِ ــ وَيْحَـكِ ــ مـا دَهاهـا؟

أحـــق أنهـــا دَرَســـتْ أحَـــقُّ؟

وهـــل غُـــرَفُ الجِنـــانِ مُنـــضَّداتٌ؟

وهـــل لنعـــيمهن كـــأمس نَـــسْقُ

وأيـــن دُمَـــى المقاصِـــر مـــن حِجـــالٍ

مُهتكَـــــةٍ، وأســـــتارٍ تُـــــشَقُ

بَـــرزن وفي نـــواحي الأيـــكِ نـــارٌ

وخَلـــفَ الأيـــكِ أفـــراخٌ تُـــزقُّ

إذا رُمْـــنَ الـــسلامةَ مـــن طريـــق

أتـــتْ مـــن دونـــه للمـــوت طُـــرْق

بليـــــلٍ للقـــــذائفِ والمنايـــــا

وراءَ سمائِـــــه خَطْـــــفٌ، وصَـــــعْقُ

إذا عـــصف الحديـــدُ، أحْمَـــرَّ أُفْـــقٌ

علـــى جنباتـــهِ، وأســـودَّ أُفْـــق

سَـــلي مـــنْ راعَ غيـــدَك بعـــدوَهْن

أبـــين فـــؤادِه والـــصخرِ فَـــرق؟

وللمـــستعمرين ـــ وإن ألانـــوا ـــ

قلـــوبٌ كالحجـــارةِ، لا تَـــرِقُ

رمـــاكِ بطيـــشهِ، ورمـــى فرنـــسا

أخـــو حـــربٍ، بـــه صَـــلَفُ، وحُمْـــق

إذا مـــا جـــاءَه طُـــلابُ حـــقٍّ

يقـــولُ: عـــصابةٌ خرجـــوا وشـــقّوا

دَمُ الثـــوّارِ تعرفُـــه فرنـــسا

وتعلـــم أنـــه نـــورٌ وحَـــقّ

جـــــرى في أرضـــــها، فيـــــه حيـــــاةٌ

كمُنْهَـــــلِّ الـــــسماء، وفيـــــه رزق

بـــــلادٌ مـــــاتَ فتيتُهـــــا لتحيـــــا

وزالـــــوا دونَ قـــــومهمُ ليبقـــــوا

وحُـــــرِّرت الـــــشعوبُ علـــــى قناهـــــا

فكيـــــف علـــــى قناهـــــا تـــــسترق؟

بـــــني ســـــورية، أطرحـــــوا الأمـــــاني

وألقـــــوا عـــــنكم الأحـــــلام، ألقـــــوا

فمـــــن خـــــدع الـــــسياسة أن تُغَـــــروا

بألقـــــاب الإمـــــارة وهـــــي رِقُّ

وكـــــم صَـــــيَد بـــــدا لـــــك مـــــن ذليـــــل

كمـــــا مالـــــت مـــــن المـــــصلوب عُنْـــــق

فُتُـــوق الملـــكِ تَحْـــدُثُ ثـــم تمـــضي

ولا يمـــــضي لمخـــــتلفين فتْـــــق

نَـــــصَحْتُ ونحـــــن مختلفـــــون داراً

ولكـــــن كلُّنـــــا في الهـــمِّ شـــــرق

ويجمعنـــــا إذا اختلفـــــت بـــــلادٌ

بيـــــانٌ غـــــيرُ مختلـــــفٍ ونُطْـــــق

وقفـــــتم بـــــين مـــــوتٍ أو حيـــــاةٍ

فـــإن رُمْـــتم نعـــيمَ الـــدهر فاشْـــقوا

وللأوطـــــانِ في دَمِ كـــــلِّ حُـــــرٌّ

يـــــدٌ ســـــلفتْ ودَيـــــنٌ مـــــستحِق

ومـــــن يَـــــسقي ويَـــــشربُ بالمنايـــــا

إذا الأحـــــرارُ لم يُـــــسقوا ويَـــــسقوا؟

ولا يـــبني المالـــك كالـــضحايا

ولا يُـــدني الحقـــوق ولا يُحـــقُّ

ففـــي القتلـــى لأجيـــالٍ حيـــاةٌ

وفي الأســـرى فِـــدىً لهمـــو وعِتْـــق

وللحريـــــةِ الحمـــــراء بـــــابٌ

بكـــلِّ يـــدٍ مُـــضَرَّجةٍ يُـــدَقُ

جـــزاكم ذو الجـــلالِ بـــني دِمَـــشقٍ

وعـــزُّ الـــشرقِ أوَّلـــهُ دِمَـــشْقُ

نـــصرتم يـــومَ محنتـــهِ أخـــاكم

وكـــلُّ أخٍ بنـــصر أخيـــه حـــق

ومـــا كـــان الـــدُّروزُ قَبيـــلَ[1] شـــرٍّ

وإِن أُخـــــذوا بمـــــا لم يَـــــستحِقُّوا

ولكـــــن ذادَةٌ[2] وقُـــــراةُ ضـــــيفٍ

كينبـــوعِ الـــصَّفا خـــشُنوا ورَقُّـــوا

لهـــم جبـــلٌ أشـــمُّ لـــه شـــعافٌ

مـــوارد في الـــسحاب الجُـــونِ بُلْـــق

لكـــلٍّ لبـــوءَةٍ، ولكـــلِّ شـــبلٍ

نِـــضالٌ دونَ غايتِـــه ورَشْـــقُ

كـــأن مِـــن الـــسَّمَوْألِ[3] فيـــه شـــيئاً

فكـــلُّ جِهاتِـــه شـــرفٌ وخلْـــق

---

(١) القبيل: جمع قبيلة وهي العشيرة.

(٢) الذادة: جمع ذائد وهو الحامي.

(٣) السموأل: هو السموأل بن عادياء صاحب القصيدة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكـــل رداء يرتديـــه جميـــل

openkandil.com

دمشق

قـم نـاجِ جلَّـقَ، وأنْـشُدْ رسـمَ مـن بـانوا
مَـشَتْ علـى الرَّسـم أحـداثٌ وأزمـان

هـذا الأديـمُ كتـابٌ لا كفـاءَ لـه
رثُّ الـصحائفِ، بـاق منـهُ عنـوان

الـدينُ والـوحيُ والأخـلاقُ طائفـةٌ
منـه وسـائرُه دنيـا وبهتـان

مـا فيـه إن قُلِّبَـتْ يومـاً جـواهرُهُ
إلاّ قـرائحُ مـن راد وأذهـان

بنـو أميـةَ للأنبـاء مـا فتحـوا
وللأحاديـثِ مـا سـادوا ومـا دانـوا

obeikandl.com

كـانوا ملوكـاً، سـريرُ الـشرق تَحـتَهُمُ

فهـل سـألتَ سـريرَ الغـرب: مـا كـانوا؟

عـالينَ كالـشمس في أطـراف دولتهـا

في كـــل ناحيـــةٍ مُلـــكٌ وســـلطان

يـاويحَ قلـبي! مهمـا انتـاب أرْسُـمَهُم

ســـرى بـــه الهـــمُّ، أو عادتـــهُ أشـــجان

بـالأمس قمـتُ علـى (الزهـراء) أنـدُبُهم

واليـوم دمعـي علـى (الفيحـاء) هَتَّـان

في الأرض مـــنهم سمـــاواتٌ، وألويـــةٌ

ونيِّـــراتٌ، وأنـــواءٌ، وعقبـــان

معـــادن العـــزِّ مـــال الرغَّـــام بهـــم

لـو هـان في تُرْبـهِ الإبرِيـزُ مـا هـانوا

لـولا دِمَـشْقُ لمـا كانـت (طُلَيطِلَـة)

ولا زهـــتْ بـــني العبـــاس بغـــدان

مـــررتُ بالمـــسجد المحـــزونُ، أســـأله

هـــل في المـــصلَّى أو المحـــراب (مـــروان)

تغـــير المـــسجد المحـــزون واختلفـــت

علـــى المنـــابر أحـــرارٌ وعِبـــدان

آمنـــتُ بـــالله، واســـتثنيتُ جَنَتَـــه

دمـــشق رَوْحٌ وجنـــاتٌ، ورَيْحـــان

قـــالَ الرفـــاقُ وقـــد هَبـــتْ خمائلُهـــا:

الأرضُ دارٌ لهـــا (الفيحـــاء) بـــستان

جَـــرى وصـــفَّقَ يلقانـــا بهـــا بـــردى

كمـــا تلقَّـــاك دون الخُلْـــدِ رضـــوان

دخلتُهـــا وحواشـــيها زُمُـــرُّدَةٌ

والـــشمس فـــوق لُجـــين المـــاءِ عِقبـــان

والحـــور في (دُمَّـــر)، أو حـــول (هامَتِهـــا)

حـــورٌ كواشِـــفُ عـــن ســـاق وولـــدان

و(ربـــوةُ) الـــوادِ في جِلبـــابِ راقـــصةٍ

الـــساقُ كاســـيةٌ والنحـــرُ عُريـــان

والطـيرُ تَـصدح مـن خلـف العيـونِ بهـا

وللعيـــونِ كمـــا للطـــير ألحـــان

نـــصيحةٌ ملؤهـــا الإخـــلاصُ صـــادقةٌ

والنُّـــصحُ خالـــصُه ديـــنٌ وإيمـــان

والـشعر مـا لم يكـن ذكـرى وعاطفـةً

أو حكمـــةً، فهـــو تقطيـــع وأوزان

ونحـن في الـشرق والفـصحى بنـو رَحـم

ونحـــن في الجُـــرح والآلام إخـــوان

زحلـة

ياجـــارةَ الـــوادي طَرِبْـــتُ وعـــادني

مـــا يـــشبهُ الأحـــلامَ مـــن ذكـــراك

مَثَّلْـــتُ في الـــذكرى هـــواكِ وفي الكـــرى

والـــذكريات صـــدى الـــسنينَ الحـــاكي

ولقـــد مـــررتُ علـــى الريـــاض بربـــوةٍ

غنّـــاءَ كنـــتُ حيالهـــا ألقـــاك

ضـــحِكَتْ إلـــيَّ وجُوههـــا وعيونُهـــا

ووجـــدتُ في أنفاســـها ريّـــاك

obeikandl.com

فـــذهبت في الأيـــام أذكـــر رفْرَفـــاً

بـــين الجـــداولِ والعيـــونِ حـــواك

أذكَـــرْتِ هَرولـــةَ الـــصبابةِ والهـــوى

لمـــا خَطَـــرْتِ يُقـــبِّلان خُطـــاك؟

لم أدر مـــا طيـــبُ العِنـــاقِ علـــى الهـــوى

حتـــى ترَّفـــق ســـاعدي فطـــواك

وتـــأوَّدَتْ أعطـــافُ بانِـــك في يـــدي

واحمـــرّ مـــن خَفَرَيْهمـــا خـــدّاك

ودَخلْـــتُ في لـــيلين: فَرْعِـــك والـــدُّجى

ولثمـــتُ كالـــصّبح المنـــوِّرِ فـــاكِ

ووجـــدتُ في كُنْـــهِ الجـــوانحِ نـــشوةً

مـــن طيـــب فيـــك، ومـــن سُـــلاف لَمـــاك

وتعطَّلَـــتْ لغـــة الكـــلامِ وخاطبـــتْ

عـــــينيَّ في لغـــــة الهـــــوى عينـــــاك

ومحـــوتُ كـــلَّ لُبانـــةٍ مـــن خـــاطري

ونـــسيتُ كـــلَّ تعاتـــبٍ وتـــشاكي

لا أمـــسِ مـــن عمـــر الزمـــان ولا غـــدٌ

جُمِـــع الزمـــانُ فكـــان يـــومَ رِضـــاك

obeikandl.com

obeikandl.com

يا شراعاً وراء دجلة

"غنّاها بين يدي ملك العراق المغفور له فيصل الأول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد في سنة ١٩٣١"

يـا شـراعاً وراءَ دِجلـةَ يَجـري ... في دمـوعي تجنبتـك العَـوادي

سِـر علـى المـاءِ كالمسيحِ رُويـداً ... واجـر في اليم كالشعاع الهادي

وأْتِ قاعـاً كرفـرفِ الخلـدِ طِيبـاً ... أو كَفِرْدَوْسِـهِ بـشاشةَ وادي

قِـفْ، تمهَّـلْ، وخُـذ أَمانـاً لقلـبي ... مـن عيـونِ المهَـا وراءَ الـسَّوادِ

والنُّواسِـيُّ والنَّـدامَى، أَمِـنهم ... سـامرٌ يملأُ الـدُّجَى أو نـادِ؟

خَطـرتْ فوقـه المِهـارةُ تعـدو ... في غُبـارِ الآبـاءِ والأجـداد

أُمَّـةٌ تُنـشِئ الحيـاةَ، وتـبني ... كبِنـاءِ الأُبـوَّةِ الأَمجـاد

تحـتَ تـاجٍ مـن القرابـة والملـ ... ـكِ علـى فَـرْقِ أَرْيحـيَّ جـواد

ملـك الـشطِّ، والفـراتيْنِ، والبطـ ... ـحاءِ، أَعظِـمْ بِفَيْـصَلٍ والـبلاد

obeikandl.com

الربيع ووادي النيل

إلى (هول كين) الكاتب الروائي الشهير

آذارُ أقبلَ، قُمْ بنا يا صاحِ ... حيِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ

واجمعْ نَدامى الظَّرفِ تحت لوائه ... وانشرْ بساحتِه بساطَ الرَّاح

صفوٌ أُتيحَ، فخذْ لنفسِكِ قِسطَها ... فالصفوُ ليس على المدَى بمُتاح

واجلس بضاحكة الرياضُ مُصَفِّقاً ... لتجاوُبِ الأَوتارِ والأَقداح

واستأْنِسَنّ من السُّقاة برفقَةٍ ... غُرٍّ، كأمثال النجوم، صِباح

رقَّتْ كنُدمان الملوك خلالُهُم ... وتجمَّلوا بمروءةٍ وسماح

واجعل صَبوحَك في البكور سَليلةً ... للمنجِبيْنِ: الكرْمِ والتفاح

مهما فضضتَ دِنَانها فاستضحكت ... مُلِئَ المكانُ سَنىً، وطيبَ نُقاح

تطغى، فإن ذكرتْ كريمَ أُصولها ... خلعت على النشوان حِلْيةَ صاحي

(فرعون) خبأها ليوم فتوحه ... وأعد منها قرية (لفتاح)

ما بين شادٍ في المجالس أَيْكُهُ ... ومُحجَّباتِ الأَيْكِ في الأَدواح

غَرِدٌ على أوتارِه، يُوحي إلى ... غَرِدٍ على أَغصانه، صَدّاح

بيضُ القلانِس في سواد جَلابِبٍ ... حُلِّينَ بالأَطواق والأَوضاح

رَتَّلْنَ في أَوراقهن ملاحناً ... كالراهباتِ صبيحةَ الإِفصاح

يخطرن بين أَرائكٍ ومنابرٍ ... في هيكل من سُندس فيَّاح

مَلِكُ النبات، فكلُّ أَرضٍ دارُه ... تلقاه بالأَعراس والأَفراح

منشورةٌ أَعلامهُ، من أَحمرٍ ... قانٍ، وأَبيضَ في الرُّبَى لمَّاح

لبستْ لمقْدَمه الخمائلُ وَشْيَها ... ومَرَحْنَ في كنَف له وجناح

يغشى المنازلَ من لواحظ نرجس ... آناً، وآناً من ثغور أَقاح

ورؤوس "منثورٍ" خَفَضْنَ لعزِّه ... تيجانهنَّ عواطرَ الأَرواح

الوردُ في سُرُرِ الغصونِ مُفتَّح ... متقابل يُثنى على الفتَّاح

ضاحِي المواكب في الرياض، مُمَيَّزٌ ... دون الزهور بشَوْكةٍ وسلاح

مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقْبِلاً ... مرَّ الشِفَاه على خدود ملاح

هتكَ الردى من حسنهِ وبهائه ... بالليل ما نسجتْ يدُ الإِصباح

ينبيك مصرعُه ـ وكلُّ زائلٌ ـ ... أَن الحياة كغُدوة ورَواح

ويقائقُ النَّسْرِينِ في أَغصانها ... كالدُّرِّ رُكِّب في صدور رماح

و"الياسَمينُ"؛ لَطِيفُه ونَقِيُّه ... كسريرة المتنزِّه المِسماح

مُتَأَلِّقٌ خَلَل الغصون، كأَنه ... في بُلجْة الأَفنانِ ضوءُ صباح

و"الجُلَّنَارُ" دمٌ على أَوراقِه ... قاني الحروفِ، كخاتم السفاح

وكأَن مخزونَ "البنفسَجِ" ثاكلٌ ... يَلْقى القضاءَ بخشية وصلاح

وعلى "الخواطرِ" رِقَّةٌ وكآبةٌ ... كخواطر الشُّعراءِ في الأَتراح

والسَّرْوُ في الحِبَرِ السوابغ كاشفٌ ... عن ساقِه كمليحة مِفْراح

و"النخلُ" ممشوقُ العُذُوقِ، مُعصَّبٌ ... متزينٌ بمناطق ووِشاح

كبناتِ فرعونٍ شهدنَ مواكباً ... تحتَ (المراوح) في نهارٍ ضاح

وترى الفضاءَ كحائط من مَرْمَرٍ ... نُضِدَتْ عليه بدائعُ الأَلواح

الغَيْمُ فيه كالنَّعام: بَدينةٌ ... بركتْ، وأُخرى حَلَّقَتْ بجَناح

والشمسُ أَبهى من عروسٍ بُرقعتْ ... يوم الزِّفاف بعسجَد وضَّاح

والماءُ بالوادي يُخالُ مَساراً ... من زئبق، أو مُلقَياتِ صِفاحِ

بعثتْ له شمسُ النهار أَشعَّةً ... كانت حُلى (النَّيْلُوفَرِ) السباح

يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها ... زَهْوَ الجواهِرِ في بطون الرّاح

وجرت سواقٍ كالنّوَادب بالقُرى ... رُعْنَ الشجى بأَنَّةٍ ونُوَاح

الـشاكياتُ ومـا عَـرَفْنَ صـبابةً ... الباكيـاتُ بمَـدْمَع سـحَّاح

مـن كـلِّ باديـة الـضاوعِ غليلـةٍ ... والمـاءُ في أَحـشائها، مِلـواح

تبكـي إذا رَتَبَـتْ، وتـضحك إن هَفَـتْ ... كـالعِيس بـين تَنَـشُّط ورَزاح

هـي في الـسلاسل والغلـول؛ وجارُهـا ... أَعمـى، ينـوءُ بـنِيرِه الفـدّاح

إِنـي لأَذكـرُ بـالربيعِ وحـسنهِ ... عهـدَ الـشباب وطِرفِـه المِمـراح

هـل كـان إلاّ زهـرةً كزهـورهِ ... عجـلَ الفنـاءُ لهـا بغـير جُنـاح؟

(هـول كـين) مـصرُ روايـة لا ننتهـي ... منهـا يـدُ الكُتَّـاب والـشُرّاح

فيهـا مـن البَـرْدِيِّ، والمُزْمـور، وال ... تـوراةِ، والفرقـان، والإصـحاح

(ومِنَـا)، (وقمبيـزٌ)، إلى (إِسـكندرٍ) ... فالقيـصَرين، فـذِي الجلال (صلاح)

تلـك الخلائـقُ والـدهورُ خزانـةٌ ... فابعـثْ خيالَـكَ يـأْتِ بالمفتـاح

أُفـقُ الـبلاد ـ وأَنـت بـين رُبوعهـا ـ ... بـالنجم مـزدانٌ وبالمـصباح

obeikandl.com

أثر البال في البال

في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين

حَـــفَّ كأسَـــها الحبَـــبُ ... فهـــي فِـــضة ذَهَـــبُ

أو دوائـــــــــــرٌ دُرَرٌ ... مـــائجٌ بهـــا لبَـــبُ

أو فـــمُ الحبيـــب، جـــلا ... عَـــن جُمانِـــهِ الـــشَنَبُ

أو يـــــدٌ، وباطِنُهـــا ... عاطِـــلٌ ومختـــضِبُ

أو شَـــقيقُ وجنتِـــه ... حـــينَ لـــي بـــه لعِـــبُ

راحـــةُ النفـــوس، وهـــل ... عنـــد راحـــةٍ تعَـــبُ

يـــا نـــديمُ، خِـــفَّ بهـــا ... لا كبـــا بـــك الطـــربُ

obeikandi.com

لا تقـــــلْ: عواقبُهـــــا فالعواقـــــــــبُ الأدبُ

تنجلـــي ولـــي خُلُـــق ينجلـــــي وينـــــسكبُ

يرقُـــب الرفـــاقُ لـــه كلمـــا سَـــرى شـــربوا

شـــاعر العزيـــز، ومـــا بالقليـــل ذا اللقـــب

ليلـــــةٌ لـــــسيدِنا في الزمـــان تُرتقـــبُ

دونَهـــا الرشـــيد، ومـــا أخلَـــدْت لـــه الكتـــبُ

يُهْـــرَعُ النزيـــل لهـــا والرعيـــة النُّخَـــبُ

فالـــسراي جـــوهرةٌ للعقـــول تختَلِـــبُ

أو كباقـــة زهْـــرا للعيـــون تأتـــشِبُ

الجـــلال قبتُـــه والـــسنا لـــه طُنُـــبُ

ثابـــتٌ، وذروتُـــهُ في الفـــضاء تـــضطربُ

أشـــرقْت نوافـــذه فهـــي منظـــر عجـــبُ

واســـــــتنارَ رفرَفـــــــهُ والـــــسجوف والحُجُـــــبُ

تعجَـــــب العيـــــونُ لـــــه كيـــف تـــسكنُ الـــشُّهبُ

أقبلـــتْ شمـــوس ضُـــحى مـــــا لهـــــن مُنتقَـــــبُ

الظـــــــلامُ رايتُهـــــــا وهـــــي جيـــشُهُ اللجِـــبُ

في هـــــــوادِجِ عجـــــــلا بالجيـــــادِ تَنْـــــسحِبُ

قـــــامَ دونهـــــا ســـــبَبٌ واســـــتحثها سَـــــببُ

فهـــــي تـــــارةً مهـــــلٌ وهـــــي تـــــارةً خَبَـــــبُ

ترتمـــــي بهـــــنّ حِمـــــى لا يجـــــــوزه رَغَـــــــبُ

بابُـــــــه لداخِلـــــــه جنـــــــةٌ هـــــــي الأرَبُ

قامـــــتْ الـــــسراةُ بـــــه والمَعيَّـــــــةُ النّجُـــــــبُ

وانـــــبرى النـــــساءُ لَـــــهُ عُجْمُهـــــنَّ والعَـــــربُ

العفـــــــافُ زينتُهـــــــا والجَمـــــالُ والحَـــــسَبُ

obeikandl.com

أنجـــــمٌ مطالِعُهـــــا عابـــــدين والرحَـــــبُ

ســـــيدي لهـــــا فلـــــكٌ وهـــــي منـــــهُ تَقْتَـــــرِبُ

عنـــــدَ ركـــــنِ حُجْرتـــــهِ بَـــــدْرُهُ لَنـــــا كَثَـــــبُ

يزدهـــــي الـــــسريرُ بـــــه والمطـــــارفُ القُـــــشُبُ

حَـــــولَ عرشِـــــه عجَـــــمُ حـــــولَ عرشِـــــه عَـــــرَبُ

رُتبـــــةُ الجـــــدودِ لَـــــهُ تـــــستوي بهـــــا الرُّتَـــــبُ

شَـــــرُفَتْ بـــــهِ وسَـــــما تالـــــدٌ ومُكْتَـــــسَبُ

الليـــــــوثُ مائِلـــــةٌ والظبـــــاءُ تَنْـــــسَرِبُ

الحريـــــرُ ملبَـــــسُها واللّجـــــينَ والـــــذهَبُ

والقـــــصورُ مـــــسرحُها لا الرِّمـــــالُ والعُـــــشُبُ

يـــــستفزُّها نَغَـــــمٌ لا صـــــدى ولا لَجَـــــبُ

يُـــــستعادُ مَرْقَـــــصُهُ تـــــارة ويُقْتَـــــضَبُ

obeikandl.com

فالقـــــدود بـــــانُ ربـــــى ... بَيْـــــدَ أنهـــــا تَثِـــــبُ

يلعـــــبُ العنـــــاقُ بهـــــا ... وهـــــو مـــــشفقٌ حَـــــدِبُ

فهـــــي مـــــرةً صـــــعدٌ ... وهـــــي مـــــرة صَـــــبَبُ

وهـــــي ههُنـــــا وهُنـــــا ... تلتقـــــي وتـــــصْطحبُ

مثلمـــــا التقـــــتْ أســـــلٌ ... أو تعانقـــــتْ قُـــــضُبُ

الـــــــرؤوس مائلـــــــةٌ ... في الـــــصدورِ تَحتَجِـــــبُ

والنحـــــــورُ قائمـــــــةٌ ... قاعـــــد بهـــــا الوَصَـــــبُ

والنهـــــــودُ هامـــــــدةٌ ... والخـــــــدودُ تَلْتَهـــــــبُ

والخـــــــصورُ واهيـــــــةٌ ... بالبنـــــــانِ تَنجـــــــذِبُ

ســـــالت الأكـــــفُّ بهـــــا ... فهـــــي أغـــــصُنٌ نُهـــــبُ

الخـــــــوانُ دائـــــــرةٌ ... المـــــلا لهـــــا قُطُـــــبُ

للوفـــــــودِ مائـــــــدةٌ ... منـــــه أينمـــــا انقلبـــــوا

والطريـــــقُ متـــــصلٌ نحـــــوَهُ ومُنْـــــشَعِبُ

والطعـــــامُ حاضـــــرهُ والمزيـــــدُ مُنْتَهَـــــبُ

بـــــاردٌ ومِـــــنْ عجَـــــبٍ يَـــــشتهي ويطّلِـــــبُ

ســـــائغٌ لـــــذي سَـــــغَبٍ ســـــائغُ ولا سَـــــغَبُ

حاضـــــرُ لـــــدى طَلَـــــبٍ حاضـــــرُ ولا طَلَـــــبُ

والمُـــــدامُ أكؤسُـــــها والنّهـــــى لهـــــا ســـــلَبُ

شَـــــرُفتْ منافِحُهـــــا واعتلـــــى بهـــــا العَنَـــــبُ

حولَهـــــا الحـــــوائِمُ مـــــا ينقـــــضي لهـــــا قـــــربُ

يغتـــــبطنَ في حـــــرَمٍ لا تنالـــــهُ الرِّيَـــــبُ

مـــــا ســـــوى الحـــــديث بـــــه يبتغـــــي ويجتـــــذبُ

هكـــــذا الكـــــرامُ كـــــرا مٌ "وإنْ هُمُـــــوا طَرِبـــــوا"

ليلـــــةٌ علـــــت وغلـــــت ليـــــتَ فجْرِهَـــــا كَـــــذِبُ

يكفـــــلُ الأمـــــيرُ لنـــــا ... أن تُعيـــــدَها الحقـــــبُ

عـــــاش للنـــــدى ملِـــــكُ ... سَـــــــيِّدٌ لَنـــــــا وَأبُ

حـــــــاتم الملـــــــوكِ إذا ... ضـــــاقَ بالنـــــدى النـــــشبُ

الـــــــــسرورُ أنعُمُـــــــهُ ... والهنـــــاء مـــــا يَهَـــــبُ

والنـــــــدى سَـــــــجِيّتهُ ... والحنـــــانُ والحَـــــــدبُ

يـــــا عزيـــــزُ: دامَ لنـــــا ... روض عـــــزّكَ الأشِـــــبُ

هـــــذه عـــــروسُ نهـــــى ... في القبـــــول ترتَغـــــبُ

زفّهـــــا لكـــــم وَجَـــــلا ... شـــــاعرُ الحِمـــــى الأرِبُ

احتفـــــى الحـــــضورُ بهـــــا ... واكتفـــــى بهـــــا الغَيَـــــبُ

لـــــو مَـــــدَحْتُكُم زمـــــني ... لم أقـــــم بمـــــا يَجِـــــبُ

obeikandl.com

مضناك جفاه مرقده

مُـــضْناكَ جَفَـــاهُ مَرْقـــدُهُ ... وبَكـــاهُ وَرحَّـــمَ عُـــوَّدُهُ

حَـــيرانُ القلْـــبِ مُعذِّبُـــهُ ... مَقْـــرُوحُ الْجَفـــنِ مُـــسَهَّدَهُ

أوْدَى حُرَقـــاً إلاَّ رَمَقـــاً ... يُبقيـــهِ عَليـــكَ وتُنْفِـــدُهُ

يـــسْتهوِي الـــوُرْقَ تأوُّهُـــهُ ... ويُـــذيبُ الـــصَّخرَ تنَهُـــدُهُ

ويُنـــاجِي الـــنَّجمَ ويَتبَعُـــهُ ... وَيُقـــيمُ اللَّيـــلَ ويُقعِـــدُهُ

ويُعَلِّـــمُ كَـــلَّ مُطَوَّقـــةٍ ... شَـــجَناً في الـــدَّوحِ تَـــرَدِّدُهُ

كـمْ مَـدَّ لطيْفـكَ مِـنْ شَـرَكٍ ... وتِـــأدَّبَ لا يَتَـــصيَّدُهُ

فعِـــساكَ بِغَمْـــضٍ مُـــسعِفهُ ... ولعـــلَّ خَيالَـــكَ مُـــسْعدُهُ

obeikandi.com

الحُـــسنُ حَلفْـــتُ بيُوسِـــفِهِ والـــسُّورةِ إنَّـــكَ مُفْـــرَدُهُ

قـــدْ وَدَّ جَمالَـــكَ أوْ قَبَـــساً حَـــوْراءُ الخُلـــدِ وأمْـــرَدُهُ

وتمَنَّـــتْ كـــلُّ مُقَطِّعَـــةٍ يـــدَها لـــوْ تُبْعـــثُ تَـــشْهدُهُ

جحَـدتْ عيْنـاكَ زكـيَّ دَمـي أكَـــذلكَ خَـــدُّكَ يجْحـــدُهُ

قـــدْ عـــزَّ شُـــهُودي إذْ رَمَتـــا فأَشـــرتُ لخـــدِّكَ أُشـــهِدُهُ

وهَمَمْـــتُ بجِيْـــدِكَ أُشْـــرِكهُ فـــأَبى واسْـــتكبرَ أَصْـــيَدَهُ

وهَـــزَزْتُ قوَامَـــكَ أعْطِفُـــهُ فَنبـــا وَتَمَنَّـــعَ أمْلـــدُهُ

سَـــبَبٌ لرِضـــاكَ أُمهِّـــدُهُ مـــا بـــالُ الخَـــصْرِ يُعَقِّـــدُهُ

بَـــيني في الحـــبِّ وبَينـــكَ مَـــا لا يقـــــدِرُ واشٍ يُفـــــسِدُهُ

مِـــا بـــالُ العـــاذِلِ يَفـــتحُ لـــي بَـــابَ الـــسُّلوانِ وأوصِـــدُهُ

ويَقُـــولُ تَكَـــادُ تُجَـــنُّ بِـــهِ فـــأقُولُ وأُوشِـــكُ أعبُـــدُهُ

مـــوْلايَ ورُوحـــي في يـــدهِ قـــدْ ضـــيَّعها سَـــلِمتْ يـــدُهُ

نـــاقُوسُ القَلَـــبِ يـــدُقُّ لـــهُ وحَنايـــا الأضْـــلعِ معْبـــدُهُ

حُـــسَّادي فيـــهِ أعْـــذُرُهمْ وَأحَـــقُّ بعُـــذرى حُـــسَّدُهُ

قـــسَماً بثنايـــا لُؤلُؤُهـــا قَـــسَمَ اليـــاقُوتَ مُنَـــضِّدُهُ

ورُضـــاب يُوعَـــدُ كَـــوْثَرَهُ مقْتُـــولُ العـــشقِ وَمُـــشْهَدُهُ

وبخـــالٍ كَـــادَ يُحَـــجُّ لـــهُ لـــوْ كـــانَ يُقَبَّـــلُ أَسْـــوَدُهُ

وقَـــوامٍ يـــرْوى الغُـــصنُ لـــهُ نَـــسَباً والـــرُّمْحُ يُغَنِّـــدُهُ

وبِخـــصْرٍ أوْهـــنَ مـــنْ جلـــدي وعَـــوَادِي الهَجْـــرِ تُبَـــدِّدُهُ

مـــا خُنـــتُ هَـــوَاكَ ولا خَطَـــرتْ سَـــلْوى بالقلْـــبِ تُبَـــرِّدُهُ

obeikandl.com

خدعوها

خَـــدَعُوها بقـــولهم: حـــسناءُ ... والغـــواني يَغُـــرُّهنَّ الثنـــاءُ

أتُراهـــا تناســـت اسمـــيَ لمـــا ... كثُـــرت في غرامِهـــا الأسمـــاءُ؟

إن رأتـــني تميـــل عـــني كـــأن لم ... تـــكُ بـــيني وبينهـــا أشـــياء!

نظـــرةٌ، فابتـــسامةٌ، فـــسلامٌ ... فكـــلامٌ، فموعـــدٌ، فلقـــاءُ

ففـــراقٌ يكـــون فيـــه دواءٌ ... أو فـــراقٌ يكـــون منـــه الـــداء

يومَ كُنا ـ ولا تسلْ: كيف كُنّا؟ ـ ... نتهـادَى مـن الهـوى مـا نـشاءُ

وعلينـــا مـــن العفـــاف رقيـــبٌ ... تَعِبـــتْ في مِراســـه الأهـــواءُ

جـاذبتني ثـوبى العـصى وقالـت: ... أنـــتم النـــاسُ أيُّهـــا الـــشعراءُ

فـــاتقوا الله في قلـــوب العـــذارى ... فالعـــذارى قلـــوبُهنّ هـــواءُ

obeikandl.com

جبل التوباد

جَبَـلَ التوبـادِ حيَّـاكَ الحيـا ... وسـقى اللهُ صِـبانا ورَعَـى

فيـكَ ناغَيْنـا الهـوى في مَهـدِهِ ... ورضِـعْناهُ فكُنـتَ المُرضـعا

وحَـدَوْنا الـشمسَ في مغرِبهـا ... وبكرْنـا فـسَبقْنا المَطلَعـا

وعلـى سَـفحِكَ عِـشنا زَمَنـاً ... ورعيْنـا غَـنَم الأهْـلِ معـا

هـذه الربـوةُ كانـتْ ملعبـاً ... لـشابَينا وكانـتْ مَرْتعـا

كـم بنينـا مـن حـصاها أربُعـا ... وانثنينـا فمحونـا الأربُعـا

وخَطَطْنـا في نقـا الرمـلِ فَلَـمْ ... تحفـظِ الـريحُ ولا الرَّمـلُ وَعَـى

لَـمْ تـزلْ ليلـى يعـيْني طفلـةً ... لم تَـزِدْ عـن أمـس إلاّ أُصـعُبا

مـا لأحجـاركَ صُـمّاً كلّمـا ... هـاج بـي الـشوقُ أَبـتْ أنْ تَـسْمعا

كلْمـا جِئْتُـكَ راجَعْـتُ الـصِّبا ... فأبـت أيامـهُ أنْ تَرْجعـا

قـدْ يهـونَ العُمْـرُ إلاّ سـاعةً ... وتهـونُ الأرضُ إلاّ مَوْضِـعا

obeikandl.com

مصاير الأيام

ألا حبَّـــذا صُـــحبةُ المكْتَـــبِ وأَحْبَـــبْ بأيامـــهِ أحْبَـــبِ

ويـــا حبـــذا صـــبيةً يَمْرَحـــو ـــ نَ، عِنـــانُ الحيـــاةِ علـــيهمْ صَـــبي

كـــأنهمو بـــسماتُ الحيـــا ـــ ةِ وأنفـــاسُ رَيْحانهـــا الطَّيِّـــبِ

يُـــراحُ ويُغـــدى بهـــمْ كالقطيـــ ـــعِ علـــى مـــشرقِ الـــشَّمسِ والمغْـــرِبِ

إلى مرتـــــعٍ أَلفـــــوا غَـــــيرَهُ وراعٍ غريـــــبِ العـــــصا أجْـــــنبي

ومـــستقبلٍ مـــن قيـــودِ الحيـــا ـــ ةِ شـديدٍ علـى الـنفس مُسْتـصعَبِ

فِـــراخٌ بأيـــكٍ فَمِـــنْ نـــاهضٍ يـــروضُ الجنـــاحَ ومـــن أَزغَـــبِ

مقاعِـــدُهم مـــن جنـــاحِ الزمـــا ـــ نِ ومـــا عَلمـــوا خَطَـــرَ المرْكَـــبِ

عـــصافيرُ عنـــد تهَجِّـــي الـــدرو ـــ سِ مهـــارٌ عرابيـــدُ في الملعـــبِ

obeikandl.com

خَلِيّــونَ مــن تبعــاتِ الحيــا ـــ ـةِ علـــى الأمِ يُلقونهـــا والأبِ

جنــونُ الحداثــةِ مــن حــولهمْ تــضيقُ بــهِ سَــعةُ المَــذهَبِ

غــدا فاســتبدَّ بعقــلِ الــصّبيِّ وأعــدى المــؤدِّبَ حتــى صَــبي!

لهــمْ جَــرسٌ مُطــربٌ في الــسّرا ـــ حِ، ولــيس إذا جــدَّ بــالمُطربِ

تــوارتْ بــه ســاعةً للزمــا ـــ نِ علــى النــاس دائــرةُ العَقْــربِ

تــشولُ بإبرتَهــا للــشبا ـــ بِ وتقــذِفُ بالــسُّمِ في الــشِّيّبِ

يــدقُّ بمطرَقَتيهــا القــضا ـــ ءُ وتجــري المقــاديرُ في اللوْلَــبِ

وتلــك الأواعــي بأيمــانهمْ حقائــبُ فيهــا الغــدُ المُختبي

ففيهــا الــذي إنْ يقــمْ لا يُعَــدُّ مــن النــاس، أو يمــضِ لا يُحــسبِ

وفيهــا اللــواءُ وفيهــا المنــا ـــ رُ وفيهــا التبيــعُ وفيهــا الــنّبي

وفيهــا المــؤخَرُ خلــفَ الزّحــا ـــ مِ وفيهــا المقــدَّمُ في المَوْكِــبِ

جميـــلٌ علـــيهمْ قـــشيبُ الثيـــا ـــ ـــبِ ومـــا لمْ يُجَمّـــلْ ولم يقـــشَبِ

كـــساهُم بنـــانُ الـــصِّبا حلّـــةً أعـــزّ مـــن المخمـــلِ المـــذهبِ

وأبهـــى مـــن الـــوردِ تحـــتَ النـــدى إذا رفّ في فرعِـــــه الأهْـــــدَبِ

وأطهـــرُ مـــن ذيلـــها لَـــم يلـــم مـــن النـــاسِ مـــاشٍ ولَـــمْ يـــسحبِ

قطيـــع يزجيـــه راعٍ مـــن الدهـــ ـــ ـــرِ، لـــيس بلـــينٍ ولا صـــلبِ

أهابـــتْ هراوتـــه بالرفـــا ـــ ـــق ونـــادتْ علـــى الحيّـــد الهّـــربِ

وصـــرف قطعانـــه فاســـتبد ولم يخـــشَ شـــيئاً ولم يَرهَـــبِ

أرادَ لمـــنْ شـــاء ورعـــى الجديـــ ـــ ـــبَ وأنـــزلَ مـــن شـــاءَ بالمُخْـــضِبِ

وروى علـــى ريهـــا النـــاهلا ـــ ـــتِ وردّ الظّمـــاءَ فلـــم تَـــشْرَبِ

وألقـــى رقابـــاً إلى الـــضاربيـ ـــ ـــن وضـــنَّ بـــأخرى فلـــم تُـــضرَبِ

ولـــيس بمبـــقٍ علـــى الحاضِريـــ ـــ ـــنَ ولـــيس ببـــاكٍ علـــى الغُيَّـــبِ

obeikandl.com

غاب بولونيا

هـــلا ذكـــرت زمـــانَ كُنّـــ ـ ـــا والزمـــانُ كمـــا نريـــد؟
نطـــوي إليـــك دُجـــى الليـــا لـــي والـــدُّجى عنـــا يـــذودْ
فنقـــولُ عنـــدَك مـــا نقـــو ـ لُ ولـــيس غـــيرُك مـــن يعيـــدُ
نُطفـــي هـــوى وصـــبابة وحـــديثُها وتـــرٌ وعـــودُ
نـــسري ونـــسرحُ في فـــضا ـ ئـــك والريـــاحُ بـــه هجـــودُ
والطـــير أقعـــدَها الكـــرى والنـــاسُ نامـــتْ والوجـــودُ
فنبيـــتُ في الإينـــاسِ يغبِـــ ـــطنا بـــه الـــنجمُ الوحيـــدُ
في كـــلِّ ركـــنٍ وقْفَـــةٌ وبكـــلِّ زاويـــةٍ قُعُـــودُ
نَـــسْقي ونُـــسْقى والهـــوى مـــا بـــينَ أعيُننـــا وَليـــدُ
فمـــن القلـــوبِ تمـــائمٌ ومـــن الجُنـــوبُ لـــه مُهـــودُ

obeikandi.com

obeikandl.com

مملكة النحل

ألقيت هذه القصيدة في مجمع علميّ بوزارة الزراعة بمصر بُسطت فيه حياة النّحل والدعوة إلى تربيته، وكان ذلك في سنة ١٩٢٣، فوصف الشاعر مملكة النحل وما هي عليه من النظام وتدبير وبُعد نظر؛ ودعا إلى العمل والاستقلال الذّاتي بأسلوب رمزيّ جميل.

مملكةٌ مُدَبَّرهْ بامْرَأةٍ مُؤَمَّرهْ

تحْمِلُ في العمَّالِ والصُّنَّاعِ عِبءَ السَّيْطرهْ...

مخلوقةٌ ضعيفةٌ مِنْ خُلقٍ مَصَوَّرهْ،

يا ما أقَلَّ مُلْكها، وما أجلَّ خَطرهْ!

قِفْ سائِلِ النَّحْلَ بهِ بأيّ عقْلٍ دَبَّرهْ،

يُجِبْكَ بالأخلاقِ، وَهْيَ كالعُقولِ جَوْهرهْ

تُغني قُوى الأَخلاقِ ما تُغني القُوى المُفكَرهْ،

obeikandi.com

ويَرفـــــــعُ اللهُ بِهـــــــا مَــنْ شــاءَ حتَّــى الحَــشرهْ...

مُلْـــــكٌ بَنَـــــاهُ أهلُـــــهُ بهمَّـــــــةٍ ومَجْـــــــدَرَهْ

لـــــو التَمـــــسْتَ فيـــــهِ بطَّـــــالَ اليّـــــدينِ لمْ تَـــــرَهْ:

تُقْتَـــــلُ أوْ تُنفـــــى الكُـــــسا ــ لى فيـــــهِ غَيْـــــرَ مُنْـــــذَرهْ

تَحْكُـــــمُ فيـــــهِ قيْـــــصَرهْ في قَوْمِهـــــــا مُـــــــوَقَّرهْ،

مِـــــنَ الرّجـــــالِ وقُيـــــو ــ دِ حُكمِهـــــــمْ مُحـــــــرَّرهْ،

لا تُـــــورِثُ القَـــــومَ ولـــــو كـــــانوا البَـــــنينَ البَـــــرَرَهْ،

أَلمُلـــــــكُ للإنـــــــاثِ في الدُّســـــــتُور لا للـــــــذّكرَهْ...

فهَـــلْ تُـــرى تَخْـــشى الطَّمـــا ــ عَ في الرِّجـــالِ والـــشَّرهْ؟...

أنثـــــى، ولكـــــنْ في جَنـــــا ــ حَيْهـــــا لَبَـــــاةٌ مُخـــــدَّرهْ

ذائِـــــدَةٌ عَـــــنْ حَوْضـــــها، طـــــارِدةٌ مَـــــنْ كَـــــدَّرَهْ،

تقلَّـــــــدتْ إبْرَتهـــــــا، وادَّرَعـــــــتْ بـــــــالْحَبَرهْ...

تَلقـــى المُغـــيرَ بـــالجُنُو ـ ـ دِ الخُـــشُنِ المُنمَّـــرهْ...

مَـــنْ يَـــبْنِ مُلكـــاً أو يَـــذُدْ، فَبالْقَنـــــا المُجـــــرَّرَهْ،

إنَّ الأُمـــــورَ هِمَّـــــةٌ، لـــيسَ الأُمـــورُ ثَرْثـــرهْ!...

مالِكـــــةٌ عاملـــــةٌ مُـــــصْلِحةٌ مُعمِّـــــرهْ،

صـــــاعِدةٌ في معْمـــــلٍ، مِـــنْ مَعمـــلٍ مُنْحـــدرَهْ،

وارِدَةٌ دَسْـــــــــكَرَةً، صـــادِرَةٌ عـــنْ دَسْـــكرهْ،

بـــــاكرةٌ تَـــــسْتنهِضُ العَـــــصائبَ المُبكِّـــــرهْ

الـــــسامعينَ الطَّـــائعينَ المُحـــــسنينَ المَهـــــرهْ،

مِـــنْ كُـــلِّ مَـــنْ خَـــطَّ البِنـــا ـ ـ ءَ، أوْ أقَـــــامَ أَسْـــــطُرَهْ،

أوْ شَـــــدَّ أصْـــلَ عقْـــدِهِ أوْ ســـــــدَّهُ أوْ قـــــوَّرَهْ،

أوْ طـــافَ بالمـــاءِ عَلـــى جُدرانـــــــهِ المُجَـــــدَّرهْ.

وتَـــذهبُ النَّحـــلُ خِفـــا ـ ـ فـــاً، وتَجـــيءُ مُـــوقِرهْ،

جَوالِـــبَ الـــشَّمعِ مـــنَ الخَمائـــلِ المُنـــوَّرهْ،

حَوالـــــبَ المـــــاذِيِّ مِـــــنْ زَهـــرِ الرِّيـــاضِ الـــشَّيِّرهْ.

مَـــــــشْدُودَةٌ جُيوبُهـــــــا عَلـــــى الجَنـــى مُـــزرَّرة،

وكُـــــــلُّ خُرطـــــــومٍ أدَا ـــ ـةُ العَـــــــسَلِ المُقطِّـــــــرَهْ،

وكُـــــلُّ أنـــــفٍ قـــــانئٍ فيـــهِ مِـــنَ الـــشُّهدِ بُـــرَهْ،

حتَّـــــى إذا جـــــاءَتْ بـــــهِ جَاسَـــــتْ خِـــــلالَ الأَدْوِرهْ،

وغيَّبَتْـــــــهُ كالـــــــسُّلا ـــ فِ فِي الـــــدِّنانِ المُحْـــــضَرهْ.

فهَـــلْ رأيـــتَ النَّحـــلَ عَـــنْ أمانَـــــــةٍ مُقَـــــــصِّرهْ؟

مـــا اقْترضَـــتْ مـــنْ بَقْلـــةٍ أوِ اســـــــتعارَتْ زّهـــــــرَهْ

أدَتْ إلى النَـــــاسِ بـــــهِ سُـــــــكَّرةً بِـــــــسُكَّرهْ.

عمر المختار[1]

رَكَـــــزُوا رُفاتَـــــكَ في الرّمـــــال لِـــــواءَ

يَـــــستنهضُ الـــــوادي صـــــباحَ مَـــــساءَ[2]

يـــــا وَيْحَهـــــم! نـــــصبوا مَنـــــاراً مـــــن دمٍ

تُـــــوحِي إلى جيـــــل الغـــــدِ البَغْـــــضاءَ

مـــــا ضـــــرَّ لـــــو جَعلـــــوا العَلاقـــــةَ في غـــــدٍ

بـــــين الـــــشعوب مَـــــوَدَّةً وإِخـــــاءَ؟

---

(١) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحاني العظيم في كثير من أقطار الإسلام، ظل يقاتل الطليان في سبيل الذود عن وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً سنة ١٩٣١، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا في إعدامه سبلاً بشعة متوحشة، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين.

(٢) ركز اللواء: غرزه في الأرض. وهذا استعمال لغوي مشتق من الركيزة، وهي قطع الفضة والذهب والمعادن، أن العرب في الجاهلية يحفرون لها في الأرض، ويسمونها الدفائن، فقوله: "ركزوا رفاتك" استعمال أريد به الإشارة إلى أن هذا الرفات من النفائس والذخائر، التي يضن بها ويحرص عليها.

obeikandl.com

جُـــرْحٌ يَـــصيحُ علـــى المـــدَى، وضَـــحِيَّةٌ

تـــــــتلمَّسُ الحريَّـــــــةَ الحمـــــــراءَ

يـــا أَيُّهـــا الـــسيفُ المجـــرَّدُ بـــالفَلا

يكـسو الـسيوفَ علـى مـر الزمـان مَـضاء

تلـــك الـــصحارى غِمْـــدُ كـــلِّ مُهَنَّـــدٍ

أَبْلَـــى فأحـــسنَ في العـــدوِّ بَـــلاءَ

وقبـــورُ مَـــوْتَى مـــن شـــبابِ أُمَيَّـــةٍ

وكهـــولِهم لم يبْرَحُـــوا أَحيـــاءَ

لـــو لاذَ بـــالجوزاءِ مـــنهم معقِـــل

دخلـــوا علـــى أَبراجِهـــا الجـــوزاءَ

فتحـــوا الـــشَّمالَ: سُـــهولَهُ وجبالَـــهُ

وتوغَّلـــوا، فاســـتعمروا الخـــضراءَ

وبَنَـــوْا حـــضارتَهم، فطَـــاوَلَ ركنُهـــا

(دَارَ الـــسلامِ)، و(جِلَّـــقَ) الـــشَّمّاءَ

خُيِّـــرْتَ فـــاخْتَرْتَ المبيـــتَ علـــى الطَّـــوَى

لم تَـــبْنِ جاهـــاً، أو تَلُـــمَّ ثَـــراءَ

إنَّ البطولـــةَ أن تمـــوتَ مـــن الظَّمـــأ

لـــيس البطولـــةُ أن تَعُـــبَّ المـــاءَ

إفريقيـــا مَهْـــدُ الأُســـودِ ولَحْـــدُها

ضـــجَّتْ عليـــكَ أَراجـــلاً ونـــساءَ

والمـــسلمون علـــى اخـــتلافِ ديـــارِهم

لا يملِكـــون مـــعَ المُـــصَابِ عَـــزاءَ

والجاهليـــةُ مـــن وَراءِ قُبـــورِهم

يبكـــون زَيْـــدَ الخيـــل والفَلْحـــاءَ

* * * * * *

openkandil.com

في ذِمَّـــــــة اللهِ الكـــــــريمِ وحفظِـــــــه

جَـــــسَدٌ (ببرْقـــــة) وُسِّـــــدَ الـــــصحراءَ

لم تُبْـــقِ منـــــه رَحَـــى الوقـــائِع أَعظُمـــاً

تَبْلَـــــى، ولم تُبْـــــقِ الرِّمـــــاحُ دِمـــــاءَ

كَرُفـــــاتِ نَـــــسْرٍ أو بَقِيَّـــــةِ ضَـــــيْغَمٍ

باتـــــــا وراءَ الـــــــسَّافياتِ هَبـــــــاءَ

بطـــــلُ البَـــــداوةِ لم يكـــــن يَغْـــــزو علـــــى

"تَنْـــــكٍ"، ولم يَـــــكُ يركـــــبُ الأَجـــــواءَ

لكـــــنْ أَخـــــو خَيْـــــلٍ حَمَـــــى صَـــــهَوَاتِها

وأَدَارَ مـــــــن أَعرافهـــــــا الهيجـــــــاءَ

* * * * * *

لَبَّـــى قـــضاءَ الأَرضِ أمـــسِ بمُهْجَـــةٍ
لم تخْـــشَ إلاَّ للـــسماء قَـــضاءَ

وافـــاهُ مَرْفـــوعَ الجـــبينِ كأَنـــه
سُـــقْراطُ جَـــرَّ إلى القُـــضاةِ رِداءَ

شَـــيْخٌ تَمالَـــكَ سِـــنَّهُ لم ينفجـــرْ
كالطفـــل مـــن خـــوفِ العِقـــابِ بُكـــاءَ

وأَخـــو أُمـــورٍ عـــاشَ في سَـــرَّائها
فتغيَّـــرَتْ، فتوقَّـــع الـــضَّراءَ

* * * * * *

الأُسْـــدُ تـــزأَرُ في الحديـــدِ ولـــن تـــرى
في الـــسِّجنِ ضِـــرْغاماً بكـــى اسْـــتِخْذاءَ

وأَنـــى الأَســـيرُ يَجُـــرُّ ثِقْـــلَ حَديـــدِهِ
أَسَـــدٌ يُجَـــزِّرُ حَيَّـــةً رَقْطـــاءَ

عّـــضَّتْ بـــساقيه القُيـــودُ فلـــم يَنُـــؤْ

ومَـــــشَتْ بهَيْكلـــــه الـــــسّنون فنـــــاءَ

تـــسعونَ لـــو ركبَـــتْ مناكـــبَ شـــاهقٍ

لترجلـــــــتْ هـــــــضباتُه إعيـــــــاءَ

خَفِيَـــتْ عـــن القاضـــي، وفـــات نَـــصِيبُها

مـــــن رِفْـــــق جُنْـــدٍ قـــــادةً نُـــبَلاءَ

والـــسِّنُّ تَعْـــصِفُ كُـــلَّ قَلْـــبٍ مهـــذبٍ

عَـــــرَفَ الجُـــــدودَ، وأَدرَكَ الآبـــــاءَ

* * * * *

دفعـــوا إلى الجـــلاَّدِ أغلَـــبَ ماجـــداً

يأْسُـــو الجِـــراحَ، ويُطلِـــقُ الأُسَـــراءَ

ويُـــشاطرُ الأَقـــرانَ ذُخْـــرَ سِـــلاحِهِ

ويَـــصُفُّ حَـــوْلَ خِوانِـــه الأَعـــداءَ

وتخيَّـــروا الحبـــلَ المَهـــينَ مَنيّـــةً

للَّيْـــثَ يلفِـــظ حَوْلَـــهُ الحَوْبـــاءَ

حَرمـــوا الممـــاتَ علـــى الـــصَّوارِم والقَنـــا

مَـــنْ كـــان يُعْطِـــى الطَّعْنَـــةَ الـــنَّجْلاءَ

إنـــي رأيـــتُ يَـــدَ الحـــضارةِ أُولِعَـــتْ

بـــالحقِّ هّـــدْماً تـــارةً وبِنـــاءَ

شـــرَعَتْ حُقـــوقَ النـــاسِ في أوطـــانِهم

إلاَّ أُبـــاةَ الـــضَّيْمِ والـــضُّعَفاءَ

* * * * * *

يـــا أَيُّهـــا الـــشعبُ القريـــبُ، أَســـامعٌ

فأَصـــوغَ في عُمَـــرَ الـــشهيد رِثـــاءَ؟

أم أَلْجَمَـــتَ فـــاكَ الخطـــوبُ وحَرَّمـــت

أُذنَيـــكَ حـــينَ تُخاطـــبُ الإصْـــغاءَ؟

ذهـــب الـــزعيمُ وأنـــتَ بـــاقٍ خالـــدٌ

فانقُـــد رِجالَـــك، واخْتَـــرِ الزُّعَمـــاءَ

وأَرِحْ شـــيوخَكَ مـــن تكـــاليفِ الـــوَغَى

واحْمِـــلْ علـــى فِتْيانِـــكَ الأَعْبـــاءَ

obeikandl.com

حافظ ابراهيم[1]

قـــد كنـــتُ أُوثـــرُ أَن تقـــولَ رِثـــائي
يـــا مُنْـــصِفَ المـــوْتى مـــن الأَحيـــاءِ

لكـــنْ ســـبقَتَ، وكـــلُّ طـــولِ ســـلامةٍ
قـــدرٌ، وكـــلّ مَنِيَّـــةٍ بقـــضاءِ

الحـــقُّ نـــادَى فاسْـــتجبْتَ، ولم تَـــزلْ
بـــالحقِّ تحفِـــلُ عنـــدَ كـــلِّ نِـــداء

وأَتيْـــتَ صـــحراءَ الإمـــامِ تـــذوب مـــن
طُـــولِ الحـــنينِ لـــساكن الـــصحراءِ[2]

---

(١) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم، شاعر سباق معدود في الطليعة، وكان يلقب بشاعر لنيل، توفي سنة ١٩٣٢، فرثاه أمير الشعراء شوقي بهذه القصيدة التي ينبئ مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له.

(٢) صحراء الإمام: المقبرة التي دفن بها، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعي لوقوع ضريحه ـ رضي الله عنه ـ في نطاقها.

obeikandl.com

فلقيـــت في الـــدار الإمـــامَ محمـــداً

في زُمْـــرَةِ الأَبـــرارِ والحنفـــاءِ[1]

أَثَـــرُ النعـــيم علـــى كـــريمِ جبينـــه

ومراشـــدُ التفـــسيرِ والإِفتـــاءَ

فـــشكوتما الـــشَّوْقَ القـــديمَ، وذُقْتُمـــا

طِيـــبَ التـــداني بعـــدَ طـــولِ تنـــائي

إنْ كانـــت الأُولى منـــازلَ فُرْقـــةٍ

فالـــسمْحَةُ الأُخـــرى ديـــارُ لقـــاءِ[2]

ووددْتُ لـــو أَنـــي فـــداكَ مـــن الـــرَّدَى

والكـــاذبون المُرْجِفـــونَ فِـــدائي

---

(١) الإمام: هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه

(٢) الأولى: الحياة الدنيا

obeikandl.com

النـــاطقونَ عـــن الـــضَّغينةِ والهـــوى

المُـــوغِرُو المَـــوْتَى علـــى الأحيـــاءِ

مـــن كـــلِّ هَـــدَّامٍ ويَـــبني مجـــدَه

بكـــــرائم الأنقـــــاضِ والأشـــــلاءِ

مـــا حَطَّمـــوكَ، وإنمـــا بـــكَ حُطِّمـــوا

مـــن ذا يُحطِّـــم رَفْـــرَفَ الجـــوزاءِ؟[1]

أنظُـــره، فأَنـــت كـــأَمْسِ شـــأْنِكَ بـــاذخٌ

في الـــشرقِ، واسْـــمُكَ أرفـــعُ الأسمـــاءِ

بـــالأَمسِ قـــد حَلَّيْـــتني بقـــصيدةٍ

غـــراءَ تحفَـــظُ كاليـــدِ البيـــضاءِ[2]

---

(١) الرفرف: ما يجعل عليه طرائف البيت. والجوزاء: نجم معروف، فالتعبير برفرف الجوزاء: كناية عن أسمى مواضع الشرف والسمو.

(٢) يريد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية، وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقي بإمارة الشعر في الشرق العربي عامة، وهي التي يقول فيه:

أمـــير القـــوافي، قـــد أتيـــت مبايعـــا وهـــذي وفـــود الـــشرق قـــد بايعـــت معـــي

openkanal.com

غِـــيظ الحَـــسُودُ لهـــا وقمـــتُ بـــشكرها

وكمـــــا علمـــــتَ مَـــــوَدَّتي ووفـــــائي

في مَحفـــــلٍ بَـــــشَّرَتْ آمـــــالي بـــــه

لمـــــا رَفعـــــتَ إلى الـــــسماء لِـــــوائِي

يـــــا مـــــانِحَ الـــــسَودانِ شـــــرْخ شـــــبابِه

ووَلِيَّـــــــهُ في الـــــــسلمِ والهيْجـــــــاءِ

لمـــــا نزلْـــــت علـــــى خمائِلـــــه ثـــــوَى

نبْـــــعُ البيـــــانِ وراءَ نَبْـــــع المـــــاءِ

قلَّدْتَـــــهُ الـــــسيفَ الحُـــــسامَ، وزدْتَـــــهُ

قلمـــــاً كـــــصدرِ الـــــصَّعْدةِ الـــــسمراءِ

قلـــم جـــرى الحِقـــبَ الطِّـــوالَ فمـــا جـــرى

يومـــــاً بفاحـــــشةٍ ولا بهجـــــاءِ

يكـــــسو بِمدْحَتِـــــه الكِـــــرامِ جلالـــــةً

ويُـــــشَيِّعُ المـــــوْتى بحـــــسنِ ثنـــــاءِ

* * * * * *

إسْـــــكَنْدَرِيّةُ يـــــا عـــــروسَ المـــــاء

وخميلـــــــةَ الحكمـــــــاءِ والـــــــشعراءِ

نـــــشأتْ بـــــشاطِئِكِ الفنـــــونُ جميلـــــةً

وتَرعرعَـــــتْ بـــــسمائِك الزهـــــراءِ

جاءَتْـــكَ كـــالطيرِ الكـــريمِ غرائبـــاً

فجمعتِهـــــا كـــــالرَّبْوَةِ الغنَّـــــاءِ

قـــد جمَّلـــوكَ، فـــصِرْتِ زِنْبَقَـــةَ الثـــرَى

للوافـــــــــدين ودُرَّةَ الـــــــــدَّأْماءِ

غَرسُـــوا رُبـــاكِ علـــى خمائـــلِ بابـــلٍ

وبَنَـــوْا قـــصورَك في سَـــنا الحمـــراءِ

واســـتحدثوا طُرُقـــاً مُنَّـــورة الهـــدى

كـــسبيلِ عيـــسى في فجـــاجِ المـــاءِ

فخُـــذي كـــأَمِس مـــن الثقافـــة زينـــةً

وتجمَّلـــــي بـــــشبابكِ النُجَبـــــاء

وتقلِّـــــدي لغـــــةَ الكتـــــابِ؛ فإنَّهـــــا

حَجَـــــرُ البنـــــاءِ، وعُـــــدَّةُ الإنـــــشاءِ

بَنَـــــتِ الحـــــضارةَ مـــــرَّتين، ومهَّـــــدتْ

للمُلـــــــكِ في بغـــــــدادَ والفَيْحـــــــاءِ

وسَـــــمَتْ بقرطبـــــةٍ ومـــــصرَ، فحلَّتـــــا

بـــــــين المالـــــــكِ ذِرْوَة العَليـــــــاءِ

مـــاذا حـــشدتِ مِـــن الـــدموع "لحـــافظٍ"

وذخـــــرْتِ مـــــن حـــــزنٍ لـــــه وبكـــــاءِ؟

ووجـــــدْتِ مـــــن وقـــــع الـــــبلاءِ بفقـــــدهِ

إن الـــــــبلاءِ مَـــــــصارِعُ العظمـــــــاءِ

اللهُ يـــــشهدُ قـــــد وَفيْـــــتِ ســـــخيَّةً

بالـــــدَّمع غـــــيرَ بَخيلـــــةِ الخطبـــــاءِ

وأَخـــــذتِ قِـــــسطاً مـــــن مَناحـــــةِ ماجـــــدٍ

جَـــــمَّ المـــــآثِرِ، طيِّـــــبِ الأنبـــــاءِ

هَتَـــف الـــرُواةُ الحاضـــرون بـــشعره

وحـــدا بـــه البـــادون في البَيْـــداءِ

لبنـــانُ يَبكيـــه، وتبكـــى الـــضادُ مـــن

حَلـــبٍ إلى الفيْحـــاءِ إلى صَـــنعاءِ

عـــربُ الوفـــاءِ وَفـــوْا بذمـــةِ شـــاعرٍ

بـــاني الـــصفوفِ، مُؤلـــفِ الأجـــزاءِ

يـــا حـــافظَ الفـــصحى، وحـــارسَ مَجْـــدِها

وإمـــامَ مـــن نجَلـــتْ مـــن البُلغـــاءِ

مـــا زِلْـــتَ تهتـــفُ بالقـــديم وفـــضله

حتـــى حَمَيْـــت أمانـــةَ القُـــدماءِ

جـــددت أُســـلوبَ (الوليـــدِ) ولفظـــهِ

وأَتيْـــت للـــدّنيا بـــسحر (الطـــائي)

وجريْــت في طلــبِ الجديــدِ إلى المــدى

حتــى اقترنْــت بــصاحب البُؤســاءِ[1]

مــاذا وراءَ المــوت مــن سَــلْوَى، ومــن

دَعَــة، ومــن كــرَمٍ، ومــن إغــضاءِ؟

اشــرحْ حقــائقَ مــا رأَيْــت، ولم تــزل

أَهــلاً لــشرْح حقــائِقِ الأَشــياءِ

رُتــبُ الــشجاعةِ في الرِّجــالِ جلائــلٌ

وأَجَلُّهُــنَّ شــجاعةُ الآراءِ

كــم ضِــقتَ ذرعــاً بالحيــاة وكيــدِها

وهتفــت بالــشكوى مــن الــضَّراءِ

فهلُــمَّ فــارِقْ يــأْسَ نفــسِك ســاعةً

واطلُــعْ علــى الــوادي شُــعاعَ رجــاءِ

---

(١) البؤساء: كتاب لفكتور هوجو، عربه الفقيد.

وأَشـــرْ إلى الـــدنيا بوجـــهٍ ضـــاحكٍ

خُلِقـــتْ أَسِـــرَّتُهُ مـــن الـــسراءِ

يـــا طالمـــا مَـــلأَ النَّـــدِيَّ بـــشاشةً

وهـــدى إليـــك حـــوائجَ الفقـــراءِ

اليـــومَ هادنْـــت الحـــوادِثَ؛ فـــاطَّرِحْ

عِـــبءَ الـــسنين، وأَلْـــق عِـــبءَ الـــداءِ

خلَّفْـــت في الـــدنيا بيانـــاً خالـــداً

وتركْـــت أَجيـــالاً مـــن الأَبنـــاءِ

وغـــداً ســـيذكرك الزمـــانُ، ولم يَـــزلْ

للـــدِّهرِ إِنـــصافٌ وحـــسنُ جـــزاءِ

obeikandl.com

عبد الحليم العلايلي[1]

لقـــــد لَبَّـــــى زعـــــيمُكُم النِّـــــداءَ
عَـــــزاءً أهـــــلَ دِمْيـــــاطٍ عَـــــزاءَ

وإِن كـــــان المُعَـــــزِّي والمُعَـــــزَّى
وكـــــلُّ النـــــاسِ في البَلْـــــوَى سَـــــواءَ

فُجِعْنـــــا كلُّنـــــا بعلائِلِّـــــي
كـــــركنِ الـــــنجمِ أَو أَســـــنى عَـــــلاءَ

أَرَقُّ شـــــبابِ دِمْيـــــاطٍ عليهـــــا
وأَنـــــشطُهم لحاجتهـــــا قَـــــضاءَ

(١) عبد الحكيم العلايلي: كان من أعيان دمياط، توفي سنة ١٩٣٢، بعد أن ترك له في القضية المصرية مواقف مذكورة. اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات، وانتخب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان في رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق.

obeikandl.com

وخـــــيرُ بيوتِهـــــا كرمـــــاً وتَقْـــــوَى

وأَصـــــــلاً في الـــــــسِّيادة وانتهـــــــاءَ

فتّـــــى كـــــالرمحِ عاليـــــةً وعُـــــوداً

وكالصَّمْـــــصام إفْرِنْـــــداً ومـــــاءَ[1]

وأَعطـــــى المـــــالَ والهِمَـــــمَ العَـــــوَالي

ولم يُعْـــــطِ الكرامـــــةَ والإبـــــاءَ

شـــــبابٌ ضـــــارَع الرَّيْحـــــانَ طِيبـــــاً

ونازَعـــــهُ البـــــشاشةَ والبَهـــــاءَ

وجُنْـــــدِيُّ القـــــضيةِ منـــــذُ قامَـــــتْ

تعلَّـــــمَ تحـــــتَ رايَتِهـــــا اللِّقـــــاءَ

---

(١) عالية الرمح: نصفه الأعلى الذي يلي السنان. والصمصام: السيف. وافرنده وماؤه: كلاهما تمييز لجوهره.

obeikandl.com

ورُوِّعَ شـــــيخُها العـــــالي بيـــــومٍ

فكـــــان بمَنْكِبيـــــهِ لـــــه وقـــــاءَ[1]

ســـــعَى لـــــضميرِه، ولوَجْـــــهِ مـــــصرٍ

ولم يَتَـــــوَلَّ ينتظـــــر الجـــــزاءَ

* * * * * *

ونَعـــــشٍ كالغَمـــــامِ يـــــرف ظِـــــلاً

إذا ذهـــــب الزِّحـــــامُ بـــــه وجـــــاءَ

ولم تقـــــع العيـــــونُ عليـــــه إلا

أثـــــار الحـــــزنَ أو بعـــــثَ البكـــــاءَ

عَجبنـــــا كيـــــف لم يَحْـــــضَرْ عُـــــوداً

وقـــــد حمـــــل المـــــرُوءةَ والرُفـــــاءَ

مَـــــشَتْ دِميـــــاطُ فالتفـــــت عليـــــه

تنازعُـــــهُ الـــــذخيرة والرجـــــاء

* * * * * *

(١) يقصد "بشيخها العالي": المغفور له سعد باشا زغلول.

obeikandl.com

بـــــني دميـــــاطَ، مـــــا شَـــــيءٌ ببـــــاقٍ

ســـــوى الفـــــردِ الـــــذي احتكـــــر البقـــــاءَ

تعـــــــالى اللهُ، لا يبقَـــــــى سِـــــــواه

إذا وردَتْ بريَّتُـــــــــــــه الفنـــــــــاءَ

وأنـــــــتم أَهـــــــلُ إيمـــــــانٍ وتقـــــــوى

فهـــــل تلْقَـــــونَ بالعَتْـــــبِ القـــــضاءَ؟

مـــــلأتم مـــــن بيـــــوتِ الله أَرضـــــاً

ومـــــن داعـــــي البُكـــــورِ لهـــــا سمـــــاءَ

ولا تـــــــــستقبلون الفجـــــــــر إلا

علـــــى قـــــدم الـــــصلاة إذا أضـــــاءَ

وترتقبـــــــون مَطْلَعَـــــــهُ صِـــــــغاراً

وتَـــــــسْتَبقُونَ غُرَّتَـــــــهُ نِـــــــساءَ

وكـــــم مـــــن مَوْقِـــــفٍ مـــــاضٍ وقفـــــتم

فكنـــــتم فيـــــه لِلـــــوطن الفِـــــداءَ

دفعـــــتم غـــــارةً شـــــعواءَ عنـــــه

وذُدْتُـــــمْ عـــــن حواضِـــــره الـــــبَلاءَ

* * * * * *

أَخـــــي (عبـــــدَ الحلـــــيم) ولـــــستُ أَدري

أَأَدعـــــو الـــــصِّهْرَ أَم أَدعـــــو الإِخـــــاءَ؟

وكـــــم صَـــــحَّ الـــــودادُ فكـــــان صِـــــهْراً

وكـــــان كـــــأَقرَبِ القُرْبَـــــى صَـــــفاءَ

عجيـــــبٌ تركُـــــكَ الـــــدنيا ســـــقيماً

وكنـــــتَ النَّخْـــــلَ تملوهـــــا شِـــــفاءَ

وكنَّـــــا حـــــينَ يُعْـــــضِل كـــــلُّ داءٍ

نجـــــيءُ إليـــــكَ نجعلـــــك الـــــدَّواءَ

مـــــضت بـــــك آلـــــةٌ حـــــدباءُ كانـــــت

علـــــى الـــــزمن المَطِيَّـــــةَ والوِطـــــاءَ

وســـــارَتْ خلْفـــــكَ الأحـــــزابُ صـــــفَّا

وســـــرْتَ، فكُنْـــــت في الـــــصفِّ اللِّـــــواءَ

تولِّـــــفُ بيـــــنهم مَيْتـــــاً، وتـــــبني

كعهـــــدِكَ في الحيـــــاة لهـــــم وَلاءَ

obeikandl.com

جورجي زيدان[1]

ممالـــــكُ الـــــشرقِ، أَم أَدراسُ أطـــــلالِ

وتلـــــك دُولاتُـــــه، أَم رَسْـــــمُها البـــــالي؟

أصـــــابَها الـــــدهرُ إلاَّ في مآثرِهـــــا

والـــدهرُ بالنـــاس مـــن حـــالٍ إلى حـــال

وصـــار مـــا نتغنَّـــى مـــن محاســـنها

حـــديث ذي محنـــةٍ عـــن صَـــفْوِه الخـــالي

(١) الأستاذ الكبير المرحوم جورجي زيدان منشئ دار الهلال الغراء هو أحد مؤسسي النهضة الصحفية في البلاد العربية، وأحد أساطين رجال العلم والأدب، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم، وقد توفي سنة ١٩١٤، بعد أن ترك خلفه من التراث العلمي والأدبي ما يكفي لتسجيل اسمه في طليعة سجل المصلحين.

obeikandl.com

إذا حفـــا الحـــقُّ أَرضـــاً هـــانَ جانبُهـــا

كأَنهـــا غابـــةٌ مـــن غـــيرِ رِئبـــال

وإن تحكَّـــم فيهـــا الجهـــلُ أســـلَمَها

لفاتـــكٍ مـــن عَـــوادي الـــذل قَتَّـــال

نوابـــغَ الـــشرقِ، هُـــزُّوهُ لعـــلّ بـــه

مـــن الليـــالي جُمـــودَ اليـــائس الـــسَّالي

إن تنفخـــوا فيـــه مـــن روح البيـــانِ، ومـــن

حقيقـــةِ العلـــمِ يـــنهضْ بعـــدَ إِعـــضال

لا تجعلـــوا الـــدينَ بـــاب الـــشرِّ بيـــنكُمُ

ولا محـــــــــلَّ مُباهـــــــــاةٍ وإدلال

مـــا الـــدينُ إلا تـــراثُ النـــاس قـــبلَكُمُ

كـــلُّ امـــرئٍ لأبيـــهِ تـــابع تـــالي

لـــيس الغلـــوُّ أَمينـــاً في مَـــشُورته

منـــاهجُ الرُّشْـــدِ قـــد تخفَـــى علـــى الغـــالي

لا تطلبـــوا حقّكـــم بَغْيـــاً، ولا ضَـــلفاً
مـــا أبعـــدَ الحـــقَّ عـــن بـــاغٍ ومختـــال

ولا يَـــضيعَنَّ بالإهمـــال جانبُـــه
فـــرُبَّ مـــصْلحةٍ ضـــاعت بإهمـــال

كـــم هِمَّـــةٍ دَفَعَـــتْ جـــيلاً ذُرا شـــرفٍ
ونوْمَـــة هـــدمتْ بُنيـــانَ أَجيـــال

والعلـــمُ في فـــضله، أَو في مفـــاخِره
ركـــنُ الممالـــكِ، صـــدرُ الدولـــةِ الحـــالي

إذا مـــشَتْ أُمـــةٌ في العـــالمين بـــه
أَبَـــى لهـــا اللهُ أَنْ تَمـــشي بـــأَغلال

يقِـــلُّ للعلـــم عنـــدَ العـــارفين بـــه
مـــا تقـــدِر الـــنفسُ مـــن حُـــبٍّ وإِجـــلال

فقِـــفْ علـــى أَهلـــه، واطلـــبْ جـــواهره
كناقـــدٍ مُمعـــنٍ في كـــفّ لآل

فـــــالعلم يفعـــــل في الأرواح فاســـــدُه

مـــا لـــيس يفعـــل فيهـــا طِـــبٌّ دجَّـــال

ورُب صـــــاحب درْسٍ لـــــو وقفْـــــتَ بـــــه

رأيـــــتَ شِـــــبه علـــــيم بـــــينَ جُهّـــــال

وتـــسبق الـــشمسَ في الأمـــصار حكمتُـــه

إلى كهـــــولٍ، وشُـــــبانٍ، وأَطفـــــال

(زيـــدانُ)، إنـــي مـــع الـــدنيا كعهـــدِك لـــي

رضَـــى الـــصديقِ، مقيـــلُ الحاســـدِ القـــالي

لـــي دَوْلـــةُ الـــشعر دونَ العـــصر وائِلـــةً

مَفـــــاخِري حِكَمـــــي فيهـــــا وأَمثـــــالي

إِنْ تَمْـــشِ للخـــير أَو للـــشر بـــي قـــدمٌ

أُشمِّـــــرُ الـــــذَّيْلَ، أو أَعثُـــــرْ بأَذيـــــالي

وإِنْ لَقيـــتُ ابـــنَ أُنثـــى لـــي عليـــه يـــدُ

جَحَـــدْتُ في جَنْـــبِ فـــضلِ اللهِ أَفـــضالي

وأَشـــكر الـــصُّنع في سِـــري وفي علـــني

إِن الـــصنائع تزكـــو عنـــد أَمثـــالي

وأَتـــركُ الغيـــب لله العلـــيمِ بـــه

إن الغيـــوب صـــناديقٌ بأَقفـــال

(كـــأُرْغُنِ) الـــدَّيْرِ إِكثـــاري ومَوْقِعُـــه

وكـــالأَذانِ علـــى الأَسمـــاع إِقلالـــي

رثَيْـــتُ قلبـــك أحبابـــاً فُجِعْـــتَ بهـــم

ورُحْـــتَ مـــن فُرقـــةِ الأَحبـــابِ يُرثـــى لـــي

ومـــا عَلِمْـــتَ رفيقـــاً غـــير مُـــؤتمَنٍ

كـــالموت للمـــرءِ في حِـــلٍّ وترحـــال

أرحْـــتَ بالَـــك مـــن دنيـــا بـــلا خُلُـــقٍ

أَلـــيس في المـــوت أَقـــصى راحـــةِ البـــال؟

طالـــت عليـــك عـــوادي الـــدهرِ في خَـــشِنٍ

مـــن الثُّـــراب مـــع الأَيـــام مُنهـــال

obeikandl.com

لم نأْتِـــــه بـــــأَخٍ في العـــــيش بعـــــدَ أَخٍ
إلاّ تركنـــــا رُفاتـــــاً عنـــــدَ غِربـــــال

لا ينفـــــعُ الـــــنفس فيـــــه وهـــــيَ حـــــائرةٌ
إلا زكـــــاةُ النُّهَـــــى، والجـــــاهِ، والمـــــال

مـــا تـــصنعِ اليـــومَ مِـــن خـــيرٍ تَجِـــدْه غـــداً
الخـــــيرُ والـــــشرُّ مِثقـــــالٌ بمثقـــــال

قـــد أكمـــل اللهُ ذيّـــاك (الهـــلالَ) لنـــا
فـــلا رأَى الـــدهرَ نقـــصاً بعـــدَ إكمـــال

ولا يَـــزَلْ في نفـــوس القـــارئين؛ لـــه
كرامـــةُ الـــصُّحُفِ الأُولَـــى علـــى التـــالي

فيـــه الروائـــعُ مـــن علـــمٍ، ومـــن أدبٍ
ومـــن وقـــائعِ أيـــامٍ وأَحـــوال

وفيـــه همـــةُ نفـــسٍ زانهـــا خُلـــقٌ
همـــا لبـــاغي المعـــالي خـــيرُ منـــوال

علَّمْـــتَ كـــلَّ نَئُـــومٍ في الرجـــال بـــه
أَنّ الحيـــــاة بآمـــــالٍ وأَعمـــــال

مـــا كـــان مـــن دُوَلِ الإســـلام مُنـــصرِماً
صَـــوَّرْته، كـــلُّ أيـــامٍ بتمثـــال

نـــرى بـــه القـــوم في عِـــزٍّ وفي ضَـــعةٍ
والملـــكَ مـــا بـــينَ إدبـــارٍ وإقبـــال

ومـــا عرَضْـــتَ علـــى الألبـــابِ فاكهـــةً
كـــالعلمِ تُـــبرِزُه في أَحـــسنِ القـــال

وَضـــعْتَ خـــيرَ (رواياتِ) الحيـــاةِ، فـــضَعْ
روايـــةَ المـــوتِ في أسـلوبِها العـــالي

وصِـفْ لنـا كيـف تجفـو الـروحُ هَيْكَلَهـا
ويـــستدُّ البِلَـــى بالهيكـــل الخـــالي

وهـــــل تَحِـــــنُّ إليـــــه بعـــــد فُرقتِـــــه

كمـــــا يَحِـــــنُّ إلى أوطانـــــه الجـــــالي

هِـــضابُ لُبنـــانَ مـــن منعْاتِـــكَ اضـــطَربَتْ

كـــــأن لبنـــــانَ مَرْمَـــــى بزلـــــزال

كـــذلك الأَرضُ تبكـــى فَقْـــد عالِمِهـــا

كـــالأُّم تبكـــي ذهـــابَ النـــافعِ الغـــالي

obeikandl.com

يا ليلة!

وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده في ساعة واحدة، فقال في ذلك:

يـــا لَيْلَـــةً سَـــمَّيْتُهَا لَيْلتَـــي ... لأَنهـــا بالنـــاس مـــا مَـــرَّتِ

أذكُرُهـــا، والمـــوتُ في ذِكرهـــا ... علـــى ســـبيلِ البّـــثِّ والعِبْـــرَةِ

لِـــيَعْلَمَ الغافِـــلُ مـــا أَمْـــسُه؟ ... مـــا يومُـــهُ؟ مـــا مُنْتَهـــى العِيـــشةِ؟

نَـــبَّهَني المقـــدورُ في جُنْحِهـــا ... وكنـــتُ بـــين النَّـــوْم واليَقْظـــةِ

المـــوتُ عَجْـــلانٌ إلى والـــدي ... والوَضْـــعُ مُـــسْتَعْصٍ علـــى زَوْجَـــتي

هـــذا فتـــى يُبْكَـــي علـــى مِثلِـــه ... وهـــــذه في أَوّلِ النَّـــــشْأَةِ

وتلـــك في مِـــصْرَ علـــى حالِهـــا ... وذاكَ رَهْـــنَ المـــوْتَ والغُرْبَـــةِ

والقلـــبُ مـــا بَينَهمـــا حـــائرٌ ... مـــن بَلْـــدَةِ أَسْـــرى إلى بَلـــدَة

حتـــى بَـــدا الـــصُّبحُ، فـــوَلى أبـــي ... وأقبلَـــتْ بعـــدَ العَنـــاءِ ابـــنَتي

فقلـــتُ أحكامُـــكَ حِزْنـــاً لهـــا ... يـــا مُخـــرجَ الحـــي مـــنَ المِّيـــتِ!

obeikandl.com

أمينة

وقال حين اكتملت بنته حولا يصفها في هذا العمر:

أَميـــــــنتي في عامِهـــــــا ... الأَولِ مِثـــــــلُ المَلَـــــــكِ

صـــــالحةٌ للحُـــــبِّ مِـــــنْ ... كـــــلِّ، وللتَّبَـــــرُّك

كـــم خَفَـــقَ القلـــبُ لهـــا ... عِنـــدَ البُكـــا والـــضَّحِك

وكـــم رَعَتْهـــا العَـــيْنُ ... في الـــسُّكونِ والتَّحـــرُّك

فـــإن مَـــشَتْ فخـــاطِري ... يَـــسبِقُها كالمُمْـــسِك

أَلحَظُهـــــا كأَنهـــــا ... مـــن بَـــصَري في شَـــرَك

فيـــا جَـــبين الـــسَّعْدِ لـــي ... ويـــا عُيُـــونَ الفَلَـــكَ

ويـــا بيـــاضَ العـــيْشِ في ... الأَيَّـــام ذاتِ الحَلَـــك

إنّ الليـــالي وهـــيَ لا ... تَنْفَـــكُّ حَـــرْبَ أهلِـــكِ

لـــو أنـــصَفَتْكِ طِفلـــةً ... لكنـــتِ بنـــتَ الملـــكِ!

obeikandl.com

obeikandl.com

طفلةٌ لاهيَةْ

وقال يصفها بسنتها الثانية:

أَمينـــةُ، يـــا بِـــنتيَ الغاليَـــة ... أهَنيـــكِ بالـــسنةِ الثانِيـــه

وأَســأَلُ أَنْ تَـسلَمي لـي الـسنينَ ... وأَنْ تُرزَقـــي العَقـــلَ والعافيـــه

وأن تُقْـــسَمي لأَبَـــرِّ الرجـــالِ ... وأنْ تلِـــدى الأَنفُـــسَ العاليـــه

ولكـــنْ ســـأَلتُكِ بالوالِـــدَيْن ... وناشـــدتُك اللُّعَـــبَ الغاليـــه

أَتـــدرِين مـــا مـــرَّ مـــن حـــادِثٍ ... ومـــا كـــان في الـــسَّنةِ الماضـــيه؟

وكـم بُلْـتِ في حُلـلٍ مـن حريـرٍ ... وكـم قـد كـسَرْتِ مـنَ الآنِيـه؟

وكـم سَـهرَتْ في رِضـاكِ الجفـونُ ... وأَنـــتِ علـــى غَـــضَبٍ غافِيـــه؟

وكم قد خَلتْ من أَبيكِ الجيوب ... وليـــسَتْ جُيوبُـــكِ بالخاليـــه؟

obeikandl.com

وكم قد شكا المُرَّ من عَيْشِه وأَنتِ وحَلواكِ في ناحيه؟

وكم قد مرِضْتِ، فأَسقمتِه وقمتِ، فكنتِ له شافيه؟

ويَضحكُ إن جئتِه تضحكينَ ويَبكي إذا جِئتِه باكيه!

ومن عَجَب مرَّتِ الحادثاتُ وأَنتِ لأَحدَثِها ناسيَه!

فلو حَسَدَتْ مُهجةٌ وُلْدَها حسدْتُكِ من طِفلةٍ لاهيَه!

obeikandl.com

الأنانية

ونظم هذه الحكاية فيها وفي كلب لها أسود صغير

يـــا حَبَّـــذا أَمينـــةٌ وكلبُهـــا ... تُحِبُّـــهُ جـــداً كمـــا يُحبُّهـــا

أميـــنتي تحبـــو إلى الحَـــوْلَينِ ... وكلبُهَـــا يُنَـــاهِزُ الـــشهرَينِ

لكِنَّهـــا بَيـــضاءُ مثـــلُ العـــاجِ ... وعبْـــدُها أســـوَدُ كالـــدياجِي

يلزَمُهـــا نهارَهـــا وتلزمُـــهْ ... ومِثلَمـــا يُكرِمُهـــا لا تُكرمُـــهُ

فعنـــدَها مـــن شـــدّةِ الإشـــفاقِ ... أن تأْخُـــذ الـــصغيرَ بالخِنـــاقِ

في كـــلِّ ســـاعةٍ لـــه صـــياحُ ... وقلَّمـــا يَـــنعَمُ، أو يرتـــاحُ

وهـــذِهِ حادثـــةٌ لهـــا مَعَـــهْ ... تُنبيـك كيـفَ استأْثرَتْ بالمنفعَـة

جـــاءَتْ بـــه إلـــيَّ ذاتَ مَـــرَّةْ ... تَحمِلـــهُ وهـــي بـــهِ كـــالبَر

فقلـتُ: أَهـلاً بـالعَرُوسِ وابنِهـا ... مـاذا يكـونُ يـا تُـرى مِـن شـأنِها؟

قالـت: "غلامـى يـا أبـي جَوْعـانُ ... ومـــا لـــهُ كمـــا لنـــا لِـــسانُ

فمُرهُمُـــوا يَـــأْتُوا بخبـــزٍ ولـــبنْ ... ويُحـــضِروا آنيـــةَ ذاتَ ثمـــنْ

فقُمـــتُ كالعـــادةِ بـــالمطلوب ... وجئتُهـــا أنظـــرُ مـــن قريـــب

فَعَجَنَـــتْ في اللـــبنِ اللُّبابـــا ... كمـــا تَرانـــا نُطعِـــمُ الكلابـــا

ثـــم أرادَتْ أَن تـــذوقَ قبلَـــه ... فاســتَطْعَمَتْ بنْـتُ الكِـرام أكلَـه

هُنـــاكَ ألقَـــتْ بالـــصَّغيرِ للـــوَرا ... وانـــدَفعتْ تَبكـــي بُكـــاءً مُفْتَـــرَى

تقـــول: بابـــا، أنـــا (دَحَّـــا) وهْـــوَ (كُـــخّ)

معنـــاه: بابـــا، لـــيَ وحـــدي مـــا طُـــبِخ

فقـلْ لمـنْ يَجهَـل خَطْـبَ الآنِيَـةْ ... قـد فُطِـرَ الطِّفـلُ علـى الأَنانِيَـة

قصر المتنزه

وقال يصف قصر المتنزه العامر بالإسكندرية بعد رؤية معالمه الشائقة بدعوة من الجناب العالي سنة ١٨٩٥م:

مُنتَـــزهُ العبّـــاسِ للمجتَلـــى ... آمنـــتُ بـــاللهِ وجَنَّاتِـــه!

العـــيشُ فيـــه لـــيس في غـــيرهِ ... يـــا طالـــبَ العـــيشِ ولذّاتِـــهِ

قـــصورُ عـــزٍّ باذخـــاتُ الـــذُّرَى ... يودُّهـــا كـــسرَى مَـــشيداتِه

من كل راسي الأصل تحت الثرى ... مُحـــير الـــنجمِ بذِرواتـــه

دارتْ علـــى البحـــرِ ســـلاليمُهُ ... فـــبتن أَطواقـــاً لِلَبَّاتِـــه

مُنتظِمـــاتٌ مائجـــاتٌ بـــه ... مُنمقـــاتٌ مثـــلَ لُجَّاتِـــه

مـــن الرخـــامِ النـــدْرِ لكنهـــا ... تُنـــازعُ الجـــوهَرَ قيمانـــه

مـــن عمـــلِ الإنـــس ســـوى أَنهـــا ... تُنـــسى ســـليمانَ وجنَّاتـــه

والـــريحُ في أبوابِـــه والجـــوا ... ـــ ري مـــائلاتٌ دون ســـاحاته

obeikandl.com

وغابُــــة مَـــنْ ســـارَ في ظلِّهـــا ... يَـــأتي علـــى البُـــسفورِ غاباتِـــه

بـــالطولِ والعـــرضِ تُبـــاهى، فـــذَا ... وافٍ، وهـــــذا عنـــــد غاياتِـــــه

والرَّمْـلُ حـال بالـضُّحى مُـذهَبٌ ... يُـــصدِّئُ الظـــلُّ سَـــبيكاتِه

وتُرْعـــةٌ لـــو لم تكـــن حُلـــوَةً ... أَنْـــسَتْ "لَمَـــرْتِينَ" بُحَيْراتِـــه[1]

أَوْ لم تكـــنْ ثَـــمَّ حيـــاةَ الثـــرَى ... لم تُبْـــقِ في الوصـــفِ لحيَّاتِـــه

وفي فـــمِ البحـــرِ لِمـــنْ جـــاءَهُ ... لِـــسانُ أَرضٍ فـــاقَ فُرْضـــاتِه

تَنْحَـــشِدُ الطَّيْـــرَ بأكنَافِـــه ... ويَجمـــعُ الـــوحشُ جماعاتِـــه

مِـــنْ معـــزٍ وَحْـــشِيَّةٍ، إن جَـــرَتْ ... أَرَتْ مِـــن الجـــرْيِ نِهاياتِـــه

أو وثَبـــتْ فـــالنَّجْمُ مـــن تحتِهـــا ... والـــسُّورُ في أسْـــرِ أسِـــيراتِه

وأرنـــبٌ كالنَّمـــلِ إن أحـــصيَتْ ... تَنْبُـــتُ في الرَّمـــلِ وأبياتـــه

يَعلـــو بهـــا الـــصَّيْدُ ويعلـــو إذا ... مـــا قيْـــصَرٌ ألقَـــى حِبالاتـــه

ومـــن ظِبـــاءٍ في كِناســـاتِها ... تَهـــيجُ للعاشِـــقِ لَوْعاتِـــه

والخَيْـــلُ في الحـــيِّ عراقِيَّـــةٌ ... تَحمِـــي وتُحمَـــى في بُيوتاتـــه

غُـــرٌّ كأَيـــامِ عزيـــزِ الـــوَرَى ... مُحجَّـــلاتٌ مِثـــل أَوقاتـــه

---

(١) لامرتين: شاعر فرنسا العظيم. وقصيدته عن "البحيرة" ذائعة وقد ترجمت إلى العربية عدة مرات.

البحر الأبيض

نظمت بالإسكندرية في صيف سنة ١٩٣١م:

أَمِـــنَ البحـــرِ صـــائغٌ عَبْقَـــرِيٌّ
بالّرمـــالِ النَّـــواعِمِ البـــيضِ مُغْـــرَى؟!

طـــاف تحـــتَ الـــضُّحَى علـــيهنَّ، والجـــوْ
هَـــرُ في سُـــوقِهِ يُبـــاعُ ويُـــشْرَى

جِئنَـــــهُ في مَعاصـــــمٍ ونُحـــــورٍ
فكـــسا مِعْـــصَماً، وآخـــرَ عَـــرَّى

obeikandl.com

وأَبَـــــي أَن يُقلِّـــــدَ الـــــدُّرَّواليـــــا
قـــــوتَ نحْـــــراً، وقلَّـــــدَ المـــــاسَ نحْـــــراً

وتَـــــــرى خاتمـــــــاً وراءَ بَنـــــــانٍ
وبَنانـــــاً مـــــن الخـــــواتمِ صِـــــفْراً

وسِـــــواراً يَـــــزينُ زَنْـــــدَ كعَـــــابٍ
وسِـــــواراً مـــــن زَنْـــــدِ حـــــسناءَ فـــــرّا

وتـــــرى الغِيـــــدَ لُؤلـــــؤا ثَـــــمَّ رَطْبـــــاً
وجُمانـــــاً حَـــــوَالَي المـــــاءِ نَثْـــــراً

وكـــــأَنَّ الـــــسماءَ والمـــــاءَ شِـــــقَّا
صَـــــدَفٍ، حَمِّـــــلا رفيفـــــاً ودُرَّا

وكـــــأَنَّ الـــــسماءَ والمـــــاءَ عُـــــرْسٌ
مُتْـــــرَعُ المهرَجـــــان لمْحـــــاً وعِطـــــرا

أو رَبيـــــعٌ مـــــن ريـــــشةِ الفـــــنِّ أبهَـــــى
مِـــــن ربيـــــع الرُّبـــــى، وأَفـــــتنُ زَهْـــــرا

أو تهاويـــــــلُ شـــــــاعرٍ عَبقـــــــريِّ

طـــــارَحَ البحـــــرَ والطبيعـــــةَ شـــــعرا

يـــــا سِـــــوارَيْ فَيْـــــرُوزَجٍ ولُجَـــــيْنٍ

بهمـــــا حُلِّيَـــــتْ معاصِـــــمُ مِـــــصْرا

في شُـــــعاعِ الـــــضُّحَى يعـــــودان ماســـــاً

وعلـــــى لَمْحَـــــةِ الأصـــــائلِ تِبْـــــرا

ومَـــــشَتْ فيهمـــــا النجـــــومُ فكانـــــت

في حَواشِـــــيهما يواقيـــــتَ زُهْـــــرَا

لـــــكَ في الأرض موكـــــبٌ لـــــيس يـــــأْلو

الـــــرِّيحَ والطـــــيرَ والـــــشياطينَ حَـــــشْرا[1]

سِـــــرْتَ فيـــــه علـــــى كنـــــوز (سُـــــليما

نَ) تعـــــدُّ الخُطـــــى اختيـــــالاً وكِبْـــــرا

(١) ليس يألو الريح... الخ: ليس يقصر عنها.

obeikandl.com

وتَرنَّمْـــــتَ في الركـــــابِ، فقلنـــــا

راهـــــبٌ طـــــاف في الأناجيـــــل يَقـــــرا

هـــــو لحـــــنٌ مُـــــضَيَّعٌ، لا جوابـــــاً

قـــــد عرفنـــــا لـــــه، ولا مُـــــستقَرَّاً

لـــــك في طيِّـــــهِ حـــــديثُ غـــــرامٍ

ظَـــــلَّ في خـــــاطر المُلَحِّـــــنِ سِـــــرَّا

******

قـــــد بعثنـــــا تحيَّـــــةً وثنـــــاءً

لـــــكَ يـــــا أرفـــــعَ الزواخِـــــر ذِكـــــرا

وغـــــشيناكَ ســـــاعةً تَنْـــــبِش المـــــا

ضـــــي نبـــــشاً، وتقتُـــــلُ الأمـــــسَ فِكـــــرا

وفتحنـــــا القـــــديمَ فيـــــك كتابـــــاً

وقرأْنـــــا الكتـــــابَ ســـــطرّاً فـــــسَطْرا

ونـــــشَرْنا مـــــن طـــــيِّهنَّ الليـــــالي

فلَمَحنـــــا مـــــن الحـــــضارةِ فَجْـــــرا

ورأينـــــا مـــــصراً تُعلِّـــــمُ (يونـــــا

نَ)، ويونـــــانَ تَقـــبِسُ العلـــمَ مـــصرا

تِلـــــكَ تأتيـــــكَ بالبيـــــانِ نبيَّـــــاً

عبقريـــــاً، وتِلـــــك بـــــالفنّ سِـــــحْرا

ورأينـــــا المنـــــارَ في مطلـــــع الـــــنَّجْمِ

علـــــى برقـــــهِ المُلَمَّـــــحِ يُـــــسرى

شـــــاطئٌ مثـــــلُ رُقعـــــةِ الخُلـــــدِ حُـــــسناً

وأديـــــمِ الـــــشبابِ طِيبـــــاً وبِـــــشرا

جَـــــرَّ فيْرُوزَجـــــاً علـــــى فِـــــضَّةِ المـــــا

ءِ، وجَـــــرَّ الأصـــــيلُ والـــــصبح تِـــــبرا

كلمَـــــا جئتَـــــهُ تهلَّـــــل بِـــــشرا

مـــــن جميـــــع الجهـــــاتِ، وافـــــترَّ ثَغْـــــرا

انثنَـــــى مَوجَـــــةً، وأقبـــــلَ يُرخـــــي

كِلَّـــــةً ماضـــــياتٍ تَلُـــــفُّ بالـــــسَّهلِ وَعْـــــرا

رُبمـــــا جـــــاءَ وَهْـــــدَةً فـــــتردَّى

في المَهـــــاوِي، وقـــــام يَطفـــــرُ صَـــــخرا

وتَـــــرى الرمـــــلَ والقـــــصورَ كأَيْـــــكٍ

ركـــــب الـــــوَكْرُ في نواحيـــــهِ وَكْـــــرا

وتَـــــرى جَوْسَـــــقاً يُـــــزَيِّنُ رَوْضـــــاً

وتـــــرى رَبـــــوةً تـــــزيِّنُ مـــــصرا

* * * * *

سَـــيِّدَ المـــاءِ، كـــم لنـــا مـــن (صـــلاحٍ)

و(علـــــى) وراءَ مائـــــكَ ذِكـــــرى[1]

كـــــم مَلأنـــــاكَ بالـــــسَّفينِ مَـــــواقيرَ[2]

كـــــشُمِّ الجبـــــالِ جُنـــــدًّا ووَفـــــرا!

شـــاكياتِ الـــسلاحِ يَخـــرُجنَ مـــن مـــصرٍ

بملمومـــــــةٍ، ويَـــــــدْخلن مِـــــــصرا

---

(١) يريد صلاح الدين الأيوبي ومحمد علي باشا.

(٢) مواقير: موقرة: مثقلة بما تحمل.

obeikandl.com

شـــــارعاتِ الجنـــــاحِ في ثَـــــبَجِ المـــــا

ءِ كنـــــسرٍ يـــــشدُّ في الـــــسُّحب نَـــــسْرا

وكـــــأنَ اللُّجـــــاجَ حـــــينَ تَنَـــــزَّى

وتـــــسدُّ الفِجـــــاجَ كـــــرًّا وفـــــرًّا...

... أجـــــمٌ بعـــــضُهُ لـــــبعضٍ عـــــدو

زحَفَـــــتْ غابـــــةٌ لتمزيـــــق أخـــــرَى!

قـــــدَفَتْ ههنـــــا زئـــــيراً ونَابـــــاً

ورَمَـــــت ههنـــــا عُـــــواء وظُفـــــرا

أنـــــتَ تَغلـــــي إلى القيامـــــةِ كالقِـــــدْ

رِ، فـــــلا حـــــطَّ يومُهـــــا لـــــكَ قِـــــدْرا

obeikandl.com

الجامعةُ المصريَّة

"ألقاها في حفلة افتتاح الجامعة المصرية سنة ١٩٣١"

تـــاجَ الـــبلادِ تحيـــةٌ وســـلامٌ ... رَدّتـــك مـــصرُ وصـــحَّت الأحـــلامُ

العلـــمُ والملـــكُ الرفيـــعُ؛ كلاهمـــا ... لـــك ـ يـــا "فـــؤادُ" ـ جلالـــةٌ ومقـــامُ

فكأنـــك المـــأمونُ في سُـــلطانه: ... في ظلِّـــك الأَعـــلامُ والأقـــلامُ[1]

أهـــدَى إليـــك الغـــربُ مـــن ألقابـــه ... في العلـــمِ مـــا تـــسمو لـــه الأعـــلام

مـــن كـــلِّ مملكـــةٍ وكـــلِّ جماعـــةٍ ... يـــسعى لـــك التقـــديرُ والإعظـــام

* * *

مـا هـذه الغُـرفُ الزواهـرُ كالضُّحى ... الـــشامخاتُ كأنهـــا الأعـــلامُ؟

مـــن كـــلِّ مرفـــوعِ العمـــودِ مُنَـــوَّرٍ ... كالـــصبحِ مُنْـــصَدِعٌ بـــه الإظـــلام

تـــتحطَّم الأُميَّـــةُ الكـــبرى علـــى ... عَرَصـــاته، وتمـــزِّقُ الأوهـــام

---

(١) المأمون بن الرشيد العباسي، وعصره من أزهى عصور الدولة الإسلامية.

هـــذا البنـــاءُ الفـــاطميُّ مَنـــارةٌ ... وقواعـــــدٌ لحـــــضارةٍ ودِعـــــام

مهـــدٌ تَهيَّـــأَ للوليـــدِ، وأيكـــةٌ ... سَـــيرِنُّ فيهـــا بُلبـــلٌ وحَمـــام

شُـــرُفاته نـــورُ الـــسبيلِ، وركنُـــه ... للعبقريّـــــةِ مَنـــــزلٌ ومُقـــــام

وملاعبٌ تجرِي الحظوظُ مع الصِّبا ... في ظلِّهـــنَّ، وتُوهَـــبُ الأقـــسام[1]

يمـشي بهـا الفِتيـانُ، هـذا مالـه ... نفـس تُـسَوِّده، وذالـك عِـصامُ[2]

ألقَـــى أواســـيهُ، وطـــال برُكنـــه ... نفسٌ مـن الـصِّيدِ الملـوكِ كُـرام[3]

مـــن آلِ إسماعيـــلَ، لا العَمَّـــاتُ قـــد ... قـصَّرن عـن كـرم، ولا الأعمـام

لم يُعْـطَ همَّـتَهم، ولا إحـسانهم ... بـانَ علـى وادي الملـوك هُمـام

وبنـــى فـــؤادٌ حائطيْـــه، يُعينـــه ... شـعبٌ عـن الغايـاتِ لـيس يَنـام

* * *

---

(١) الأقسام: الحظوظ.

(٢) يشير إلى قول النابغة:

نفـس عـصام سـودت عـصاما ... وعلمتـــه الكـــر والإقـــداما

وعصام حاجب النعمان بن المنذر، وإليه ينسب كل عصامي.

(٣) الأواسي: الدعائم والأبنية المحكمة.

أُنظر أبا الفاروقِ غرسَكَ، هل دَنَتْ ... ثمراتُــه، وبــدت لــه أعــلامُ؟

وهل انثنى الوادي وفي فمه الجَنَى ... وأتــى العــراقُ مُـشاطراً والـشام؟

في كــلِّ عاصــمةٍ وكــلِّ مدينــةٍ ... شُبانُ مِصْرَ على المناهل حاموا

كـم نـستعيرُ الآخـرين ونَجتَـدِي ... هيهــات! مــا للعاريــات دوام

اليــومَ يرْعــى في خمائِـلِ أرضِـهم ... نــشَأ إلى داعــي الرَّحيــل قِيــام

حــبٌّ غَرَسْــتَ براحَتيْـكَ، ولم يَـزلْ ... يَـسقيه مـن كلتـا يـديك غَمـام

حتــى أنــافَ علــى قــوائمِ سُـوقهِ ... ثمــراً تَنــوءُ وراءَه الأكمــام

فقريبُــه للحاضــرين وليمــةٌ ... وبعيــدُه للغــابرين طعــام

عِظــةٌ لفــاروقٍ وصــالحِ جيلِــه ... فيمــا يُنيــلُ الــصبرُ والإقــدام

ونَمــوذجٌ تحــذُو عليــه، ولم يَــزَلْ ... بــسَراتهمْ يتــشبَّهُ الأقــوام

شــيَّدت صــرْحاً للــذخائرِ عاليــاً ... يــأْوِي الجمــالُ إليــه والإلهــام

رفُّ عُيــونُ الكتْــبِ فيــه طوائــفٌ ... وجلائــلُ الأســفارِ فيــه رُكــام

إســكندريَّةً، عــاد كنــزُكِ ســالماً ... حتــى كــأنْ لم يلتهمــه ضِــرامُ[1]

لَمَّتْــهُ مــن لهَــبِ الحريــق أنامــلٌ ... يــرُدُّ علــى مــا لامَــسَتْ، وسَــلام

وأمــستُ حراحَتَــكِ القديمــة راحــةٌ ... جُــرْحُ الزمــانِ بعُرفهــا يَلتــام

تهَــبُ الطريــفَ مــن الفَخــارِ، وربّمــا ... بعَثــتْ تَليــدَ المجــدِ وهْــوَ رِمــام

* * *

أرأيــتَ رُكــنَ العلــم كيــف يُقــامُ؟ ... أرأيــتَ الاســتقلالَ كيــف يُــرامُ؟

العلــمُ في سُــبلِ الحــضارةِ والعُــلا ... حــاد لكــلِّ جماعــةٍ، وزِمــام

بــاني الممالــكِ حــينَ تنــشُدُ بانيــاً ... ومَثابــةُ الأوطــانِ حــينَ تُــضام

قامــت رُبــوعُ العلــم في الــوادي، فهــل ... للعبقريّــةِ والنبــوغِ قيَــام؟

فهمــا الحيــاةُ، وكــلُّ دُورِ ثقافــةٍ ... أو دُورِ تعلــيمٍ هــي الأجــسام

مــا العلــمُ مــا لم يــصْنعاه حقيقــةٌ ... للطــالبين، ولا البيــانُ كــلام

يــا مهرجــانَ العلــمِ، حولــك فرْحــةٌ ... وعليــك مــن آمــال مَــصرَ زِحــام

---

(١) يشير إلى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الاسكندرية.

obeikandl.com

مـا أشـبهتْكَ مواسـمُ الـوادي، ولا أعيـاده في الـدهر، وهْـي عِظـام

إلا نهـاراً في بـشاشة صُـبحهِ قعـد البُنـاةُ، وقامـت الأهـرام

وأطـال "خوفـو" مـن مواكـبِ عِـزِّه فـاهتزَّت الرَّبَـواتُ، والآكـام

يُـومي بتـاجٍ في الحـضارة مُعـرقٍ تعْنـو الجبـاهُ لعـزه، والهـام

تـاجٌ تنقَّـلَ في العُـصورِ مُعَظَّمـاً وتألفـتْ دولٌ عليـه جِـسام

لما اضطلعتَ بـه مَشَى فيـه الهـدى ومراشـدُ الدسـتورِ، والإسـلام

سَبقتْ مواكبُـك الربيـعَ وحَـسنَه فالنيـلُ زهـوٌ، والـضِّفافُ وِسـام

الجيـزةُ الفيحـاءُ هـزَّت منكِبـاً سـبع النـوالُ عليـه والإنعـام

لبـست زخارفهـا، ومـسَّتْ طِيبهـا وتـردّدت في أيْكهـا الأنغـامُ

قـد زدتهـا هرَمـاً يُحَـجُّ فِنـاؤه ويَـشدُّ للـدنيا إليـه حِـزام

تقـفُ القـرونُ غـدا علـى درجاتـه تُملِـي الثنـاءَ، وتكتـبُ الأيـام

أعـوامُ جهـدٍ في الـشبابِ، وراءَهـا مـن جهـد خـيرِ كهولـةٍ أعـوام

بلـغَ البنـاءُ علـى يـديك تمامَـهُ ولكـل مـا تبنـى يـداك تمـام

obeikandl.com

سعد باشا زغلول[1]

شـيَّعوا الـشمس ومـالوا بـضحاها ... وانحنـى الـشرقُ عليهـا فبكاهـا

ليـتني في الركـبِ لمـا أفلَـتْ ... (يوشـعٌ)، همَّـتْ، فنـادى، فثناهـا[2]

جلَّـلَ الـصبحَ سـواداً يومُهـا ... فكـأنّ الأرض لم تخلـع دُجاهـا[3]

انظـروا تَلْقـوا عليهـا شـفَقاً ... مـن جِراحـاتِ الـضحايا ودِماهـا

وتَـرَوا بـينَ يـديْها عَـبرةً ... مـن شـهيدٍ يقطـرُ الـورد شَـذاها

آذنَ الحـقُّ ضَـحاياها بهـا ... وَيْحـهُ!! حتـى إلى المـوتى نَعاهـا

* * *

كفّنوهـا حُـرَّةً عُلْويّـةً ... كَـسَتِ المـوتَ جـلالاً، وكـساها

مِـصرُ في أكفانهـا إلا الهـدى ... لحمـةُ الأكفـانِ حـقٌّ وسُـداها[4]

---

(١) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧.

(٢) يوشع: أحد أنبياء بني إسرائيل، دعا الله أن يؤجل الغروب فأجابه وثنى الشمس عن غروبها.

(٣) جلل الصبح: كساه وغطى ضوءه.

(٤) اللحمة: ما سدى به الثوب، والسدى: ضد اللحمة.

obeikandl.com

خطـــر الـــنعشُ علـــى الأرض بهـــا ... يحْـسِرُ الأبـصارَ في الـنعش سَـناها[1]

جاءَهـــا الحـــقُّ، ومـــنْ عادتهـــا ... تـــؤثرُ الحـــقَّ ســـبيلاً واتِّجاهـــا[2]

مـــا دَرتْ مـــصرٌ: بـــدفن صُـــبِّحتْ ... أم علـى البعـثِ أفاقَـتْ مـنْ كَراها؟

صَـــرَختْ تَحـــسبها بنْـــتَ الـــشَّرى ... طلَبـتْ مـنْ مِخْلـب المـوتِ أباهـا[3]

وكـــأن النـــاسَ لمـــا نَـــسَلوا ... شُـعبُ الـسيلِ طَغَـتْ في مُلتقاهـا

وضـعوا الـرّاحَ علـى الـنعشِ كمـا ... يلمَـسون الـرُّكنَ، فارتـدّت نزاهـا

خفَـضوا في يـوم (سـعد) هـامَهم ... و(بـسعدٍ) رَفعـوا أمـس الجِباهـا

* * *

ســـائلوا زحلـــةَ" عـــن أعراســـها ... هل مَشى الناعي عليها فمحاها؟[4]

عطَّـــلَ المُـــصطافَ مـــن سمّـــاره ... وجَـلا عـن ضـفَّة الـوادي دُماهـا[5]

فـــتحَ الأبـــوابَ لـــيلاً (دَيرُهـــا) ... وإلى (النـــاقوس) قامـــتْ بيعَتاهـــا

---

(١) يحسر الأبصار: أي يردها كليلة ضعيفة.

(٢) الحق الأول: يقصد به الموت والحق الثاني: يقصد به العدل.

(٣) بنت الشرى: أنثى الأسد.

(٤) يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف في زحلة إحدى مصايف لبنان.

(٥) السمار: جمع سامر، وهم إخوان الحديث في المساء. والضفة من النهر ومن الوادي: الجانب. الدمى: جمع دمية. وهي الصورة يعملها المثال من الرخام.

صـــدَع الـــبرقُ الـــدُّجى، تنـــشره ... أرضُ (ســوريا)، وتطويــه سَــماها[1]

يحمِــلُ الأنبــاءَ تَــسرى موْهنــاً ... كعــوادي الثُّكـل في حــرِّ سُــراها[2]

عــرضَ الــشكُّ لهــا فاضــطربت ... تطــأُ الآذانَ همْــساً والــشِّفاها

قلــتُ: يــا قــوم اجمعــوا أحلامكــم ... كــلُّ نفــسٍ في وريــديها رَداهــا[3]

* * *

يــا عــدوَّ القيــدِ لم يلمــحْ لــه ... شــبَحاً في خطَّــةٍ إلا أباهــا

لا يــضِقْ درْعــكَ بالقيــد الــذي ... حــزَّ في سُــوق الأوالــي وبَراهــا

وقــعَ الرُّسْــلُ عليــه، والتَــوتْ ... أرجــلُ الأحــرارِ فيــه فعَفاهــا

يــا رُفاتــاً مثــلَ رَيْحــانِ الــضُّحى ... كلَّلــتْ (عــدْنٌ) بهــا هــامَ رُباهــا[4]

وبقايــا هيكــل مــن كــرمٍ ... وحيــاة أتــرَعَ الأرض حَياهــا[5]

ودّع العــدلُ بهــا أعلامــه ... وبكــتْ أنظمــةُ الــشُّورى صُــواها[6]

---

(١) صدع: شق وقطع.

(٢) الموهن: نصف الليل، أو بعده بنحو ساعة.

(٣) الوريدان: مثنى الوريد، أحد شرايين الجسم.

(٤) عدن: الجنة. وهام رباها: أي رؤوس ربواتها. والربوات: الأمكنة المرتفعة فيها.

(٥) أترع: ملأ. والحيا: المطر.

(٦) الصوى: جمع صوة ـ بضم الصاد ـ وهي حجر يوضع في الطريق كعلامة يهتدى بها.

حَـضنتْ نعـشك، والتفَّـتْ بـه ... رايـةٌ كنـتَ مـن الـذلّ فِـداها

ضـمَّت الـصدرَ الـذي قـد ضـمّها ... وتلقّـى الـسهمَ عنهـا فوقاهـا

عجـبي منهـا ومـن قائـدها!! ... كيف يحمي الأعزلُ الشيخُ حِماها؟

* * *

مِنْبَـرُ الـوادي ذَوَت أعـوادُه ... مـن أواسـيها وجفَّـت مـن ذُراهـا

مَـن رَمَـى الفـارسَ عـن صَـهوتِها ... ودَهـا الفُـصحى بمـا ألجَـمَ فاهـا؟

قـدرٌ بالمُـدنِ ألْـوى والقُـرى ... ودَهـا الأجبـال منـه مـا دَهاهـا

غـال (بَـسْطورا) وأردَى عُـصبةً ... لمـستْ جُرثومـةَ المـوتِ يّـداها

طافـت الكـأسُ بـساقي أمّـةٍ ... مـن رَحيـقِ الوطنيّـاتِ سـقاها

عطِلـتْ آذانهـا مـن وتَـرٍ ... سـاحرٍ رنَّ مليَّـاً فـشجاها

أرغُـنٌ هـامَ بـه وجْـدانُها ... وأذانٌ عـشِقتْه أذُناهـا

كـلَّ يـومٍ خطبـةٌ روحيّـةٌ ... كـالمزامير وأنغـامِ لُغاهـا

دلَّهـتْ مـصراً ولـو أنَّ بهـا ... فلَـوَاتٍ دلَّهـتْ وحْـش فَلاهـا

ذائـدُ الحـقِّ وحـامي حَوْضِـه ... أنفَـذَتْ فيـه المقـاديرُ مُناهـا

أخَـذَتْ (سـعداً) مـن (البيـتِ) يـدٌ ... تأخـذُ الآسـادَ مـن أصـل شـراها

لـو أصـابَت غـيرَ ذي رُوحٍ لمـا ... سـلمَت منهـا الثُّريّـا وسُـهاما

تتحـــدّى الطـــبّ في قفّازهـــا ... علَّـــةُ الـــدهر الـــتي أعيـــا دَواهـــا

مـــن وراءِ الأذنِ نالـــتْ ضَـــيْغَماً ... لم يَنَـــلْ أقرانـــه إلا وِجاهـــا

لم تـــصارحْ أصْـــرحَ النـــاس يـــداً ... ولـــساناً، ورُقـــاداً، وانتباهـــا

* * *

هـــذه الأعـــوادُ مـــن آدَمَ لمْ ... يهْـــدَ خُفَّاهـــا، ولم يعْـــرَ مَطاهـــا

نقَلَـــتْ (خوفـــو)، ومالـــتْ (بمِنـــا) ... لم يفُـت حيَّـا نـصيبٌ مـن خُطاهـا[1]

تَخلـــطُ العُمـــرينِ: شـــيْباً، وصِـــباً ... والحيـــاتين: شَـــقاءً، ورَفاهـــا

زَوْرَقٌ في الـــدمعِ يطفـــو أبـــداً ... عـــرَفَ الـــضَّفَّةَ إلا مـــا تلاهـــا

تَهلَـــع الثَّكلـــى علـــى آثـــاره ... فـــإذا خـــفَّ بهـــا يومـــاً شـــفاها

* * *

تـــسكُبُ الـــدمعَ علـــى (سـعدٍ) دمـــاً ... أمـــةٌ مـــن صـــخرةِ الحـــقِّ بناهـــا

مـــن ليَـــانٍ هـــو في يَنْبوعِهـــا ... وإبـــاءٍ هـــو في صُـــمٍّ صَـــفاها

لُقِّـــنَ الحـــقَّ عليـــه كهلُهـــا ... واســـتقى الإيمـــانَ بـــالحقِّ فَتاهـــا

بـــذَلتْ مـــالاً، وأمْنـــاً، ودمـــاً ... وعلـــى قائـــدها ألقَـــتْ رَجاهـــا

---

(١) خوفو، ومنا: من ملوك مصر الفراعنة.

حمَّلتـــه ذمَّـــةً أوفـــى بهـــا ... واتلتْـــه بحقـــوقٍ فقـــضاها

ابـــنُ ســـبعينَ تلقَّـــى دونهـــا ... غُربـــةَ الأســـرِ، ووَعْثـــاءَ نَواهـــا[1]

ســـفرٌ مـــن عـــدَن الأرضِ، إلى ... منـــزلٍ أقـــرَبُ منـــه قُطُباهـــا

قـــاهرٌ ألقَـــى بـــه في صـــخرةٍ ... دفـــعَ النـــسرَ إليهـــا فأَواهـــا

كَرِهـــتْ منزلهـــا في تاجـــه ... دُرّةٌ في البحـــر والـــبرِّ نفاهـــا

اســـألوها، واســـألوا شـــانئَها ... لمَ لمْ ينـــفِ مـــن الـــدُّرِّ سِـــواها؟

ولَـــدَ الثَّـــورةَ ســـعدٌ حـــرَّةً ... بحيـــاتي ماجـــد حـــرٍّ نَماهـــا

مـــا تمنَّـــى عيرَهـــا نـــسلاً، ومَـــنْ ... يلِـــدِ الزَّهـــراءَ يزْهـــدْ في ســـواها

ســـالت الغابـــةُ مـــن أشـــبالها ... بـــينَ عيْنيـــهِ وماجَـــتْ بلبَاهـــا[2]

بـــارك الله لهـــا في فرعِهـــا ... وقَـــضَى الخـــيرَ لمـــصرٍ في جَناهـــا

أوَلم يكتُـــبْ لهـــا دُســـتورَها ... بالـــدمِ الحـــرِّ، ويرْفَـــعْ مُنتـــداها؟[3]

قـــد كتبناهـــا، فكانـــت صـــورةٌ ... صـــدْرُها حـــقٌّ وحـــقٌّ مُنتهاهـــا

رقـــدَ الثـــائرُ إلا ثـــورةً ... في سبيل الحـقِّ لم تَخمـد جُـذاها

قـــد تولاهـــا صـــبيًّا فكَـــوَتْ ... راحَتَيْـــهِ، وفَتيًّـــا فرعاهـــا[4]

---

(١) الوعثاء: الطريق العسر، أو المشقة.

(٢) اللبا: جمع لباة ـ كقطاة ـ وهي أنثى الأسد ـ

(٣) المنتدى: البرلمان.

(٤) يشير إلى عمل سعد باشا في الثورة العربية وهو في مقتبل شبابه.

جـــالَ فيهـــا قلمـــاً مُستنهـــضاً ... ولـــساناً كلَّمـــا أعْيـــتْ حَـــداها[1]

ورمَـــى بـــالنفس في بُركانهـــا ... فتلقَّـــى أوَّلَ النـــاسِ لَظاهـــا

أعلمـــتم بعـــد (موســـى) مِـــنْ يـــدٍ ... قـذَفتْ في وجـهُ (فِرْعـونَ) عَصاها؟[2]

وطِئـــتْ نادبـــةً صـــارخةً ... شـاهَ وجـهُ الـرِّقِّ ـ يـا قـوم ـ وشـاها[3]

طفِـــرَتْ بـــالكِبْر مـــن مُـــستكبرٍ ... ظـــافرِ الأيّـــامِ مَنـــصورِ لِواهـــا

القَنـــا الـــصُّمُّ نَـــشاوى حولَـــهُ ... وســـيوفُ الهنـــدِ لم تَـــصْحُ ظُباهـــا

* * *

أيـــن مِـــنْ عـــيْنيَّ نفـــسٌ حُـــرَّةٌ ... كنـــتُ بـــالأمسِ بعـــينيَّ أراهـــا؟

كلمـــا أقبلـــت هـــزَّتْ نفـــسها ... وتَواصـــى بـــشرُها بـــي ونـــداها

وجـــرَى الماضـــي، فمـــاذا ادَّكَـــرَتْ ... وادِّكـــارُ الـنفسِ شـيءٌ مـن وَفاهـا؟

ألمـــحُ الأيَّـــامَ فيهـــا، وأرى ... مـــن وراء الـــسِّنِّ تمثـــالَ صـــباها

لـــستُ أدري حـــينَ تَنـــدى نَـــضرةً ... علـــتِ الـــشَّيبَ، أم الـــشَّيبُ علاهـــا؟

حلَّـــت الـــسبعون في هيكلـــها ... فتَـــدَاعى وهْـــيَ موْفـــورٌ بناهـــا

روْعـــةُ النـــادي ‘ذا جـــدَّتْ، فـــإن ... مَزحـــتْ لم يُـــذهب المَـــزحُ بَهاهـــا

---

(١) أعيت: تعبت. حداها. من قولهم: حدا الإبل، أي ساقها وزجرها.

(٢) إشارة إلى تحدي موسى لفرعون وسحرته بالعصا، فكانت كما ورد في القرآن الكريم: ((تلقف ما يأفكون)).

(٣) شاه وجه الرق: أي قبح.

obeikandl.com

يظفَـرُ العُـذرُ بأقـصى سُـخطها ... ويَنـالُ الـودُّ غايـاتِ رِضـاها

ولهـا صـبرٌ علـى حُـسَّادها ... يُـشبهُ الـصَّفحَ، وحلـمٌ عـن عِـداها

لـستُ أنـسى صـفحةً ضـاحكةً ... تأخـذُ الـنفسَ وتجـري في هواهـا

وحـديثاً كرِوايـات الهـوى ... جـدَّ للـصَّبِّ حـنينٌ فرواهـا

وقنـاةً صـعْدةً لـو وُهبـتْ ... للـسِّماكِ الأعـزلِ اختـالَ وتاهـا[1]

أيـن منَّـى قلـمٌ كنـتُ إذا ... سمتُـه أن يَرثـي الـشمسَ رَثاهـا؟

خـانني في يـوم (سـعدٍ)، وجـرى ... في المرافـئ فكبَـا دونَ مَـداها

في نعـيم الله نفـسٌ أُوتيـتْ ... أنعُـمَ الـدنيا فلـم تـنسَ تُقاهـا

لا الحِجـى لمّـا تنَـاهى غرّهـا ... بالمقـاديرِ، ولا العلـمُ زَهاهـا

ذَهبَـتْ أوّابـةً مُؤمنـةً ... خالـصاً مـن حَـيرةِ الـشكِّ هُـداها

آنَـستْ خلْقـاً ضـعيفاً ورأتْ ... مـن وراءِ العـالمِ الفـاني إلهـا

مـا دعاهـا الحـقُّ إلا سـارَعتْ ... ليتَـه يـومَ "وَصـيفٍ" مـا دعاهـا[2]

---

(١) القناة: الرمح. والصعدة: هي التي نبتت مستوية. فلا تحتاج لتثقيف. والسماك: أحد كوكبين نيرين، يوصف أحدهما بالرامح، لأن أمامه كوكباً صغيراً يسمى رمح السماك ورايته، وبوصف الآخر بالأعزل. حيث لا يوجد أمامه شيء. يقول أن له قواماً لو منح للسماك الأعزل في السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح.

(٢) وصيف: يقصد مسجد وصيف، وهي القرية التي توجد فيها ممتلكات الزعيم، والتي قضى بها.

فوزي الغزي[1]

جـرحٌ علـى جـرحٍ! حنانَـكِ (جلَّـقُ) حُمِّلـتِ مـا يُـوهي الجبـالَ ويُزهـقُ[2]
صـبراً لبـاة الـشرقِ؛ كـلُّ مـصيبةٍ تبْلى على الصبر الجميلِ وتخلق[3]
أنـــسيتِ نـــار الباطـــشين، وهـــزّةً عرَتِ الزمانَ، كأن (روما) تُحرَقُ[4]
رعنـــاءَ أرســـلها ودسّ شُـــواظَها في حجـرةِ التـاريخ أرعـنُ أحمـق[5]
فمـــشتْ تُحطِّـــم بـــاليمين ذخـــيرةً وتلُـصُّ أخـرى بالـشمال وتَـسرق؟
جُنَّـتْ، فضعـضعها، وراضَ جِمَاحهـا من نشْئكَ الحُمْسِ الجنونُ المُطبق
لقـــيَ الحديـــدُ حميَّـــةً أمَويَّـــة لا تكتـسي صـدَأ، ولا هـي تُطـرق
يـا واضـعَ الدّسـتورِ أمـس كخُلقـه مـا فيـه مـن عـوَجٍ، ولا هـو ضـيِّق

---

(١) فوزي الغزي: هو أحد سراة الزعماء في الشام. وأحد ألوية الثورة العربية في نهضتها العظمى، توفي مسموماً وأقيمت له حفلة تأبين في دمشق، وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء في سنة ١٩٢٠.

(٢) جلق (بشدة اللام مفتوحة أو مكسورة): دمشق.

(٣) اللباة: أنثى الأسد.

(٤) يشير إلى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع. وحادثة حرق روما: هي إحدى الحوادث التاريخية الكبرى، وهي مضرب المثل منذ صار نيرون مثلاً للظلم والجبروت.

(٥) الشواظ (بضم الشين وكسرها): لهب لا دخان فيه.

obeikandi.com

نظمٌ من الشورى، وحكمٌ راشدٌ ... أدبُ الحضارةِ فيهما والمنطق

لا تخشَ مما ألحقها بكتابه ... يبقَى الكتابُ وليس يبقى المُلْحق

ميْتَ الجلالِ، من القوافي زفْرةٌ ... تجري، ومنها عبْرَةٌ تترقرق

ولقد بَعثتُهما إليكَ قصيدةٌ ... أفأنتَ مُنتظِرٌ كعهدكَ شيِّق؟

أبكى ليالينا القِصار وصحبةً ... أخْذتْ مُخيلتها تجيشُ وتَبرق[1]

لا أذكرُ الدنيا إليك؛ فربّما ... كرِه الحديثَ عن الأجاجِ المغرق[2]

طُبعت من السّمّ الحياةُ، طعامُها ... وشرابها، وهواؤها المتنشَّق

والناسُ بين بطيئِها وذُعافها ... لا يعلمون بأيِّ سمَّيها سُقُوا[3]

أما الوليُّ فقد سقاكَ بسمِّه ... ما ليس يسقيك العدوُّ الأزرق[4]

طلبوك والأجلُ الوَشيكُ يحثُّهم ... ولكلِّ نفسٍ مدَّةٌ لا تُسبق

لما أعان الموتُ كبْدَ حِبالهم ... علِقتْ، وأسبابُ المنيةِ تعلَق

طرَقتْ مِهادك حيّةٌ بشَريّة ... كفرت مما تنتابُ منه وتطرقُ[5]

* * *

---

(١) السحابة المخيلة: التي تحسب ماطرة، أي أن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر.

(٢) الأجاج: الملح المر.

(٣) الذعاف: سم الساعة.

(٤) العدو الأزرق: هو الكثير العداوة.

(٥) المهاد: الفراش، وفي البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته.

يا (فوز)، تلك دمشقُ خلفَ سَوادها ... ترمي مكانكَ بالعيون وترْمُق[1]

ذَكرتْ ليالي بدرِها، فتلفَّتتْ ... فعساك تطلُع، أو لعلَّكَ تُشرق

(بردى) وراءَ ضفافهِ مُستعبرٌ ... والحورُ مَحلولُ الضفائر مُطرق[2]

والطيرُ في جَنَباتِ (دُمَّرَ) نَوَّحٌ ... يجدُ الهمومَ خليُّهن ويَأرَق[3]

ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره ... أبذاتِ طَوقٍ بعدَ ذلك يُوثق؟[4]

* * *

عشِقتْ تَهاويلَ الجمالِ، ولم تجِدْ ... في العبقريّة ما يُحبُّ ويُعشق[5]

فمشَتْ كأنَّ بنانَها يدُ مُدْمنٍ ... وكأن ظلَّ السمِّ فيها زِئبق

---

(١) سواد دمشق: أي القرى التابعة لها.

(٢) بردى: نهر بالشام. والمستعبر: بمعنى الباكي. والحور: شجر. وضفائر الحور: غصونه التي تشبه جدائل الشعر.

(٣) دمر (بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة): متنزه في دمشق. والخلى: الخالي من الهموم، وهو ضد الشجى.

(٤) ذات الطوق: الحمامة، وهي في هذا البيت كناية عن المرأة.

(٥) التهاويل: الألوان المختلفة.

openkanal.com

ولـــو أنَّ مقـــدوراً يُـــردُّ لردِّهـــا ... لحياتـــه الـــوطنُ المـــرُوعُ المُـــشْفق

أشـقى القـضاءُ الأرض، بعـدَك أُسـرة ... لـولا القـضاءُ مـن السـماء لما شَـقوا

قـــسَتِ القلـــوبُ علـــيهمُ وتحجَّـــرتْ ... فـانظر فـؤادَك، هـل يلـينُ ويَرفُـق؟

إن الـــذينَ نزلْـــتَ في أكنـــافهم ... صَفحوا، فما منهم مَغيطٌ مُحْنَق

سَخِروا من الدنيا كما سخرتْ بهم ... وانبـــتَّ مـــن أســـبابها المُتعلِّـــق[1]

يـا مأتمـاً مـن (عبـدِ شمـسٍ) مثلُـه ... للـشمس يُـصنعُ في المـات ويُنـسَق

إ ن ضاق ظهـرُ الأرض عنـك فبطنُهـا ... عمّـــا وراءَك مـــن رُفـــاتٍ أضْـــيق[2]

لمـــا جمَعْـــتَ الـــشامَ مـــن أطرافـــه ... وافـى يُعـزِّي الـشامَ فيـك المـشرق

يبكـــي لـــواءً مـــن شـــبابِ أُميّـــةٍ ... يَحمـي حمـى الحـق المبينِ ويخفـق

لمـستْ نواصـيها الحـصونُ ترومُـه ... وتلمَّـستْهُ فلـم تجـدْه الفيلَـق[3]

---

(١) أنبت: أي قطع.

(٢) الرفات: بقايا الميت.

(٣) نواصي الحصون: أعاليها.

ركنُ الزعامةِ حين تطلب رأيَه ... فيَرَى، وتسألُه الخطابَ فينطق

ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحتَه ... عودُ المنابرِ يُستحف فيُورق[1]

(فيحاءُ)، أين على جِنانِك وردةٌ ... كانت بها الدنيا ترِفُّ وتعبَق؟[2]

علويّة تجد المسامع طيها ... وتُحسُّ ريَّاها العقولُ وتَنشق

وأرائِكُ الزَّهر الغصونُ، وعرشُها ... يدُ أمةٍ وجلبنُها والمفْرق

مَنْ مُبلغٌ عنّى شُبولة جِلَّقٍ ... قولاً يَبرُّ على الزمان ويصْدقُ؟

بالله جلَّ جلالُه، بمحمدٍ ... بيسوعَ، بالغزِّيِّ لا تتفرّقوا

قد تُفسدُ المرْعى على أخواتها ... شاةٌ تنِدُّ من القطيع وتمْرُق

---

(١) يستحف: بمعنى يسر ويطرب.

(٢) فيحاء: دمشق.

obeikandl.com

تحيَّة غَلْيُوم الثَّاني

لصَلاح الدِّين في القبْر

عظيمُ الناسَ مَن يبكي العِظاما ... ويَندُبُهم ولو كانوا عِظاما

وأكرَمُ من غمامٍ عندَ مَحْلٍ ... فتىً يُحيي بمدحتِهِ الكراما

وما عُذرُ المقصِّر عن جزاءٍ ... وما يَجزيهُمو إلى كلاما؟!

فهل من مُبلغٍ غليومَ عنّى ... مقالاً مُرضيّاً ذاك المقاما؟

رعاكَ اللهُ من ملكٍ هُمامٍ ... تعهّد في الثّرى ملكاً هُماما

أرى النِّسيانَ أظمأه، فلمَّا ... وقفْتَ بقبرِه كنتَ الغَماما

تُقرِّبُ عهدَه للناس حتى ... تركتَ الجليلَ في التاريخِ عاما

أتدري أيَّ سلطانٍ تُحيِّي ... وأيَّ مملَّكٍ تُهدى السَّلاما؟!

دعوْتَ أجلَّ أهل الأرض حَرْباً ... وأشرفهم إذا سَكنوا سَلاما

obeikandi.com

وقفتَ بهِ تُذَكرُهُ مُلوكاً تعَوَّدَ أن يُلاقوهُ قِياما!

وكم جَمَعَتْهُو حربٌ، فكانوا حدائِدها، وكان هو الحُساما

كِلامٌ للبريّةِ داميّاتٌ وأنتَ اليرومَ مَنْ ضَمَدَ الكِلاما

فلما قلتَ ما قد قلتَ عنه وأسمعتَ الممالكَ والأناما

تساءَلتِ البريّةُ وهْيَ كَلْمَى أحُبّاً كان ذاكَ أمِ انتقاما؟

وأنتَ أجلُّ أن تُزرِي بميْتٍ وأنتَ أبرُّ أن تُؤذي عظاما

فلو كان الدوامُ نصيبَ مَلْكٍ لنال بحدِّ صارِمِهِ الدواما

الشاعر الموسيقي **فردي**[1]

فتى العقلِ والنَّغمة العاليهْ ... مضى ومَحاسنُه باقيهْ

فلا سُوقَةٌ لم تكن أُنْسَهُ ... ولا مَلِكٌ لم تَزِن ناديَه

ولم تَخْلُ مِن طِيبها بَلدةٌ ... ولم تَخلُ من ذِكرها ناحيه

يكادُ إذا هو غنَّى الورَى ... بقافيةٍ يُنْطق القافيه

يَتِيهُ على الماس بعضُ النُّحاسِ ... إذا ضَمَّ ألحانه الغاليه

وتَحكم في النفس أوتارُه ... على العودِ ناطقةً حاكيه

وتبلغ موضعَ أوطارِها ... وتُفشي سَريرتها الخافيه

وكم آيةٍ في الأغاني له ... هي الشمسُ ليس لها ثانيه!

إذا ما تَنادى بها العارفون ... قل: البرقُ والرعدُ مِنْ غاديه

---

(١) الشاعر الموسيقي فردي أحد أعلام إيطاليا العالميين، وقد توفي سنة ١٩٠١.

obeikandl.com

فـإن هَمَـسُوا بعـدَ جَهـرٍ بهـا ... فخَفْـقُ الحُلـيِّ علـى الغانيـه

لقـد شـاب (فـردي) وجـاز المَشيبَ ... و(عَيْـدا) شَـبيبتُها زاهيـه[1]

تُمثِّـلُ مِـصرَ لهـذا الزمـان ... كمـا هـي في الأعـصُرِ الخاليـه

ونـذكر تلـكَ الليـالي بهـا ... وننـشد تلـك الـرُّؤى الـساريه

ونَبكـي علـى عزِّنـا النُنقَـضي ... وننـدُبُ أيَّامنـا الماضـيه

فيـا آلَ (فـردي)، نُعـزِّيكُمُ ... ونبكـي مـع الأسـرةِ الباكيـه

فقَـدنا بمفقـودكم شـاعِراً ... يقِـلُّ الزمـانُ لـه راويَـه

---

(١) عيدا: رواية تمثيلية للفقيد.

البلبُلُ الغَرِدُ الَّذي هزَّ الرُّبى

"أنشدت في الحفلة التي أقامتها رابطة الأدب الجديد، تكريماً للشاعر الأستاذ "محمود أبو الوفا"، وكانت هذه القصيدة سبباً إلى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر - أبي الوفا - وتسفيره إلى أوربا لعمل رجل صناعية بدل ساقه المبتورة!"

وعِـصابةٍ بـالخيرِ ألِّـفُ شملُهـم ... والخـيرُ أفـضلُ عـصبته ورِفاقـا

جعلـوا التَّعـاونَ والبنايـةَ همَّهـم ... واستنهـضوا الآدابَ والأخلاقـا

ولقـد يُـداوُون الجِـراح بـبرِّهم ... ويُقـاتلون البـؤسَ والإملاقـا

يـسمونَ بـالأدب الجديـدِ، وتـارةٍ ... يبْنـون لـلأدبِ القـديمِ رِواقـا

بعـثَ اهتمـامَهُمو، وهـاجَ حنـانهم ... زمـنٌ يُـثير العطـفَ والإشـفاقا

عـرَضَ القُعـودُ فكـان نُبوغِـهِ ... قَيـداً، ودونَ خُطـى الـشباب وِثاقـا

* * *

obeikandl.com

البُلبُـلُ الغـرِدُ الـذي هـزَّ الرُّبـى ... وشَجى الغصونَ، وحـرَّكَ الأوراقـا

خَلَفَ البَهاءَ على القريض وكأسِه ... فـسقى بعـذبِ نـسيبه العُـشَّاقا

في القيد مُمتنعُ الخطى، وخيالـه ... يَطـوِي الـبلادَ ويَنـشُر الآفاقـا

سـبَّاقُ غايـاتِ البيـانِ جَـرى بـلا ... سـاقٍ، فكيـف إذا اسـتردَّ الـساقا؟!

لـو يَطعـمُ الطِّـبُّ الـصَّناعُ بَيانـه ... أو لـو يُـسيغُ لمـا يقـولُ مَـذاقا....

....غـالي بقيمتـه، فلـم يَـصنع لـه ... إلا الجَنـاحَ مُحلِّقـاً خفَّاقـا!